النداء ووجوهه
في كتاب ربِّ السماء

إسراء رعد هادي مصطفى

Call and it's aspects in the Holly Qura'an

Esraa' Ra'ad Hady Moustafa

Call has great privacy in the language and has Role in the dialogue, a method not dispense with it because it awakens the soul and draw the mind and emotions. And much of this method in the Qura'an and accompanied by the ways of demands of interrogative and imperative, Researcher shows the call included four faces: (call from God to the people of the world) and (special call of God in this world),(human call each other in this world and the hereafter) and (call what does not make sense) and researcher accompanied the quotations from verses of Quran and shows that ago construct state is more types in the Holy Qura'an and also fortified by Quranic quotations

---

L'appel et ses formes dans le livre de Seigneur du ciel

Isra Raad Hadi Mustafa…

Pour l'appel il ya une grande intimité dans la langue et a un rôle dans le dialogue, il en est alors un style essentiel parce qu'il éveille l'âme et attire l'esprit et stimule les sentiments. Et beaucoup de ce style dans le Koran accompagnés par des méthodes de demande en commande, en prévention et en interrogation et que le chercheur a montré que l'appel porte quatre faces à savoir: **(un appel dominant de la part d'Allah pour tous le monde)** et **(un appel spécial de Dieu dans ce monde)** et **(appel des humains les uns pour les autres dans ce monde et dans l'au-delà)** et **(un appel irraisonnable)** et que le chercheur a désiré pour que ces faces soient intercédées par des preuves de versets de noble Koran et que le chercheur a montré que l'appel additif est le type le plus trouvé dans le noble Koran renforcé aussi par des versets évidents…

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله كما افتتح كتابه الكريم، وفرقانه العظيم. الحمد لله شعار أهل الجنة كما قال الله تعالى: "وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين" حمداً لمن خصَّ سيَّد الرُّسل بكمال الفصاحة بين البَدو والحضَر وانطقهُ بجوامع الكلم فأعجزه بُلغاء رَبيعة ومُضر، وانزل عليه الكتاب المُفحِم بتحدَّيه بُلغاء الأعراب، وأتاه بحكمته أسرار البلاغة وَفَصلَ الخطاب، ومنحهُ الأسلُوب الحكيم في جوامع كلِمه؛ وصلى الله وسلم على حبيبه المجتبى وخليله المصطفى محمد خاتم الأنبياء والرسل، وعلى آله البررة الأطهار، وصحابته الأجلة الأخيار، وعلى كل من على نهجهم سار، ما تعاقب الليل والنهار،إلى يوم الوقوف بين يدي العزيز الغفار...

للنداء مكانة بارزة في اللغة، فله دوره في الحياة البشرية ووظيفته في التواصل بين الناس إما للحوار بينهم وإما لأغراض أخرى تفهم من السياق. وافتتاح الكلام بالنداء دليل على الاعتناء بما سيلقى على المخاطب، وكأنه يعد نفسه ويهيئها لتلقي ما يقال له. يعقب النداء غالبا الأمر والنهي والاستفهام، وكأنه يعد النفس ويهيئها لتلقي تلك الأساليب وما تتضمنه من المعاني، لأن النداء يوقظ النفس ويلفت الذهن وينبه المشاعر، فإذا جاء بعده الأمر أو النهي أو الاستفهام صادف نفسا مهيأة يقظة مستعدة للقبول والامتثال، كما أنه دليل على اهتمام المتكلم وعنايته بهذا الطلب وحرصه الأكيد على تنفيذه وأدائه.

لذا فقد كثر في القرآن الكريم مصاحبة النداء لهذه الأساليب، قال تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾{آل عمران:١٠٢} وقال تعالي: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾ {المنافقون:٩} وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ {الصف:١٠}.

وقد بالغ الكوفيون حين ادعوا أن النداء لا ينفك عن الأمر أو ما جرى مجراه من الطلب والنهي، قالوا: " ولذلك لا يكاد يوجد في كتاب الله تعالى نداء ينفك عن أمر أو نهي، ولهذا لما جاء بعده الخبر في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ ﴾ {الحج:٧٣} شفعه الأمر في قوله: ﴿ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ ﴾{الحج:٧٣}.

ومما يبطل قولهم كثرة مجيء الخبر مع النداء دون أن يشفعه أمر، كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴾{مريم٤٥}، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ﴾{يوسف:٤}، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ﴾ {يونس:٢٣}([1]).

وأحسن من قول الكوفيين وأكثر دقة قول الزمخشري:" كل نداء في كتاب الله تعالى يعقبه فهم في الدين، إما من ناحية الأوامر والنواهي التي عقدت بها سعادة الدارين، وإما مواعظ وزواجر وقصص لهذا المعنى، كل ذلك راجع إلى الدين الذي خلق الخلق لأجله، وقامت السماوات والأرض به، فكان حق هذه أن تدرك بهذه الصيغة البليغة "([2]).

ولذلك نرى أن القرآن الكريم يخاطب"الإنسان" في مواضع كثيرة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴾ {الانشقاق:٦}، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴾ {الانفطار:٦}، كما يخاطب بها الناس: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ ﴾ {الحج:٧٣} ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ {النساء:١}،وبعد أن يحرك الشعور الفردي والجماعي بمخاطبة الفرد والجماعة يخص المؤمنين بالنداء تلو النداء الذي يدل على أهمية هؤلاء وامتيازهم

---

[1])ينظر: الإنصاف، الماوردي:١/١٢٠،١٢٠

[2]) البرهان في علوم القرآن:٢/٣٢٤، الكشاف:١/٢٢٦.

وسط المجتمع الإنسان كله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِ ﴾ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ ﴾ ،والقرآن حين يخاطب "الإنسان" لا يريد إنسانا من جماعة معينة، وإنما يريد كل إنسان على الأرض يحمل صفات الإنسانية وسماتها، فدعوته حتى وهي في مظهرها فردية، في حقيقتها جماعية؛ لأنها إنما تخاطب الإنسان أيا كان شكله أو لونه أو منهجه، فهو يدمج الفرد في الجماعة ويدمج الجماعة في الفرد بحيث يشعر الفرد أنه جزء من كل، ويشعر الكل أنه مؤلف من أجزاء متماسكة "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى"([1]).

وبهذا نرى أن القرآن الكريم اشتمل على أربعة أوجه للنداء، لذا استلزم البحث والذي حمل عنوان"النداء ووجوهه في كتاب رب السماء" تقسيمه على ثلاثة مباحث، فاشتمل البحث الأول والذي حمل عنوان"مفهوم النداء" على مطلبين، الأول يحمل عنوان"المفهوم اللغوي للنداء"، والمطلب الثاني"المفهوم الاصطلاحي للنداء".

في حين اشتمل المبحث الثاني والذي حمل عنوان"أقسام المنادى وأحكامه ومسائل واستثناءات"على مطلبين، الأول حمل عنوان"أقسام المنادى وأحكامه"، والثاني"مسائل واستثناءات لا بد منها".

في حين تضمن المبحث الثالث والذي حمل عنوان"وجوه النداء في كتاب رب السماء" أربعة مطالب، الأول: (نداء عام من الله لأهل الدنيا) وفيه ستة مراتب مذكورة في موضعها، الثاني: (نداء خاص من الله في الدنيا) وفيه ست مراتب أيضاً تذكر في موضعها، الثالث: (نداء الآدميين بعضهم بعضاً في الدنيا أو الآخرة) وفيه ثلاثة مراتب مذكورة في موضعها أيضاً، والرابع: (نداء ما لا يعقل) وفيه ثلاثة مراتب أيضاً تذكر في موضعها.

المبحث الأول

---

[1]) صحيح مسلم:١٩٩٩/٤ (الرقم ٢٥٨٦).

مفهوم النِداء

المطلب الأول

النداء في المفهوم اللغوي

النداء لغة: بالكسر والضم الصوت مثل الدُعاء والرُغاء، وقد ناداه ونادى به وناداه مناداة ونداء أي صاح به، وأندى الرجل إذا حسن صوته لقوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ﴾ {غافر:٣٢}، أي يوم ينادي أصحاب الجنة أصحاب النار أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله([1])، أو(هو الاكتفاء بالمنادى إذا كان المراد معلوما كما في قوله تعالى:﴿ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَا ﴾{يوسف٢٩}([2]).

وعُرِف أيضاً بأنَّه: (رفع الصوت المجرد، وإيَّاه قصد بقوله: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾ {البقرة:١٧١}، أي لا يعرف إلا الصوت المجرد دون المعنى الذي يقتضيه ترتيب الكلام، واستعارة النداء للصوت من حيث أنَّ من تكثر رطوبة فمه حسُن كلامه ولهذا يوصف الفصيح بكثرة الريق)([3]).

وعُرِف كذلك بأنه: (الأذان) لقوله تعالى:﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾{الحج:٢٧}، أي وقف إبراهيم بالمقام فنادى يا عباد الله أجيبوا واتقوا وأطيعوا فوقرت في قلب كل مؤمن ومؤمنة وأسمع ما بين

---

[1]) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم،أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي:٤٠٢/٩، لسان العرب، ابن منظور:٣١٥/١٥، تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني:٥٨/٤٠.

[2])الصحاح(تاج اللغة وصحاح العربية)، الجوهري:٢٥٦٣/٦.

[3]) تاج العروس :٥٨/٤٠.

السماء والأرض فأجابه من في الأصلاب ممن كتب له الحج، فكل من حج فقد أجاب إبراهيم عليه السلام([1]).

المطلب الثاني

النداء في المفهوم الاصطلاحي

أ- النداء في الاصطلاح اللغوي:

عُرِف النداء في الاصطلاح اللغوي بتعريفات عديدة منها قولهم:"هو إحضار الغائب وتنبيه الحاضر وتوجيه المعرض وتفريغ المشغول وتهييج الفارغ"([2])، وعُرِف أيضاً بأنه"خطاب لحاضر وقصد لواحد بعينه"([3])،أو"تصويتك بمن يريد إقباله عليك لتخاطبه"([4])، وعُرِف كذلك بأنه"طلب الإحضار بحرف نائب مناب أدعوا لفظاً أو تقديراً"([5]).

ب . النداء في الاصطلاح النحوي:

عُرِف النداء في الاصطلاح النحوي بتعريفات عديدة منها قولهم:"تنبيه المدعو ليقبل عليك بحرف من أحرف النداء وتعرض فيه الاستغاثة والتعجب والمدح والندبة"([6])، وعُرِف أيضاً بأنه"بأنه كل أسم مضاف فيه فهو نصب على إضمار الفعل

---

[1])ينظر: لسان العرب:١٢/١٣، المحكم والمحيط الأعظم:٩٨/١٠.

[2]) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي:٦٨/١.

[3]) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي: ٢٦٣/١.

[4])الكليات:٩٠٦/١.

[5]) دستور العلماء (جامع العلوم في اصطلاحات الفنون)، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري:٢٧٤/٣.

[6])ينظر: الأصول في النحو،أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي:٣٢٩/١.

المتروك أو إظهاره"([1])، وعرف كذلك بأنه"طلب المدعو الذي أقترن بدعائه ياء النداء، أو إحدى أخواتها"([2]).

ج . النداء في الاصطلاح البلاغي:

عُرِف النداء في الاصطلاح البلاغي بتعريفات عديدة منها قولهم:"هو من جملة المعاني الإنشائية الطلبية ومن أنواع الإنشاء الطلبي وطلب المتكلم إقبال المخاطب حسًّاً أو معنى، وقد تستعمل صيغته في غير معناه الأصلي كما في الاستغاثة في قوله(يا الله)مجازا مرسلاً من استعمال ما للأعم في الأخص، وفي التعجب نحو(يا للماء) مجازاً مرسلاً لعلاقة المشابهة، وفي التحسر والتوجع كما في نداء الأطلال والمنازل والمطايا"([3]).

وخلاصة القول أنّ النداء:"هو الطلب ب"يا" أو إحدى أخواتها، وهي: الهمزة الممدودة أو مقصورة ولا تستعمل إلا في نداء القريب أو المنزل منزلته كما في قولك:أزيد! وقيل: إن الممدودة لا تستعمل إلا في نداء البعيد، و"أي"بفتح الهمزة وسكون "الياء"مقصورة وممدودة"أيا"و"هيا"و"وا"، وتلك لا تستعمل إلا في نداء البعيد أو المنزل منزلته. والجمهور على أن "وا" مختصة بالندبة؛ أي: لا تستعمل إلا في المنادى المندوب"([4]).

المبحث الثاني

أقسام المنادى وأحكامه

المطلب الأول

---

[1])ينظر: المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد:٤/٢٠٢، كتاب سيبويه:٢/١٨٢.

[2])ينظر: شرح المقدمة الآجرومية، للشيخين ابن صالح العُثيمين و محمد بن أحمد الهاشمي:٣٨٨.

[3])ينظر:الإيضاح في علوم البلاغة، أبو المعالي القزويني:٣/٩١، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن مصطفى الهاشمي:١/٧١.

[4])المصدر السابق:٥٦٣.

أقسام المنادى وأحكامه

من أساليب اللغة العربية الشائعة بل والأكثر استعمالا هو النداء، لأننا نستعمله لننادي وندعو من أمامنا ونطلب منه طلباً معيناً، وكلنا نعلم أن الأداة الكبرى والمشهورة هي(يا) كما أن هناك أدوات أخرى ذكرناها سابقاُ، وبوجود أداة النداء فإن هذا يتطلب وجود منادى له أقسامه وأحكامه التي لا بد أن نتطرق لها.

والمنادى عند اللغويين مطلق المطلوب إقباله، وعند النحويين: هو المطلوب إقباله ب"يا" أو إحدى أخواتها([1])، وله أربعة أقسام([2]):

القسم الأول: ما يجب فيه أن يبنى على ما يرفع به لو كان معرباً، وهو ما اجتمع فيه أمران هما:

الأول: التعريف؛ سواء كان ذلك التعريف سابقًا على النداء؛ نحو: يا زيد، فيبنى على الضم الظاهر أو المقدر في: المفرد الحقيقي، وما يلحق به؛ كأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة غير المبدوءة ب(أل)، وفي جمع التكسير، وجمع المؤنث السالم، وعلى الألف في المثنى، وعلى الواو في جمع المذكر السالم. وعلل النحويون البناء بمشابهة الكاف الاسمية في نحو: "أدعوك"؛ خطابًا، وإفراد، وتعريفًا، وهذه تشبه الكاف الحرفية لفظا ومعنى، فهو مشبه للحرف بالواسطة.

أو عارضاً في النداء بسبب القصد والإقبال، نحو: يا رجل، تريد به معيناً، أي قصد المنكر بعينه، مما يزيل عنه الإبهام، وإقبال المتكلم عليه وإلقائه الكلام نحوه، فالعلم المفرد بعد النداء معرفة من غير شك، سواء كان التعريف سابقًا على النداء، وهو الأرجح، أو تجدد بسبب النداء. والنكرة المقصودة هي: التي تستفيد التعريف من

---

[1])ينظر:شرح الآجرومية: ص٣٨٨، التعريفات، الجرجاني:٢٣١/١، شرح شذور الذهب، الجوجري:٢٦٥/١.

[2])ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، جمال الدين ابن هشام:١٢/٤، شرح التصريح على التوضيح في النحو، الجرجاوي:٢١١/٢، التطبيق النحوي، د.عبده ألراجحي: ٢٧٧/١.

النداء، وحكمها البناء على الضمة أو ما ينوب عنها، في محل نصب، فهي كالمفرد العلم في ذلك، بشرط أن تكون مفردة، وغير موصوفة قبل النداء.

الأمر الثاني: الإفراد، ونعني به ألا يكون مضافاً، ولا شبيهاً به، فيدخل في ذلك: المركب المزجي، والمثنى، والمجموع، نحو:يا معد كرب، ويا زيدان، ويا زيدون، ويا رجلان، ويا مسلمون، ويا هندات وما كان مبنياً قبل النداء؛ كسيبويه، وحذام، في لغة أهل الحجاز قدرت فيه الضمة.

ويظهر أثر ذلك في تابعه؛ فتقول: يا سيبويه العالم، برفع العالم ونصبه، فالرفع مراعاة للضم المقدر، والنصب مراعاة للمحل. ولا يجوز الجر مراعاة للكسر؛ لأنها حركة بناء. ويقال في إعرابه: مبني على ضم مقدر منع من ظهوره اشتغال المحل بحركة البناء الأصلي، في محل نصب، "وسيبويه" منادى مبني على ضم مقدر، منع منه اشتغال المحل بحركة البناء الأصلي، في محل نصب. كما تفعل في تابع ما تجدد بناؤه؛ نحو: يا زيد الفاضل، والمحكي كالمبنى؛تقول: يا تأبط شرًا المقدامَ أو المقدامُ، أي يبنى على مقدر، منع من ظهوره حركة الحكاية، في محل نصب، ويرفع تابعه وينصب على النحو المبين في المبني، وبذلك أشار الناظم([1]):

وابن المعرف المنادى المفردا ... على الذي في رفعه قد عهدا

وانو انضمام ما بنو قبل الندا ... وليجر مجرى ذي بناء جدد

والقسم الثاني: ما يجب نصبه، وهو ثلاثة أنواع:

أحدها: النكرة غير المقصودة،كقول الواعظ : يا غافلاً والموت يطلبه،وقول الأعمى: يا رجلاً خذ بيدي، وقول الشاعر([2]):

أيا راكباً إما عرضت فبلغن... مقالة أوسيّ لؤيّ بن غالب

---

[1]) ألفية ابن مالك:١/٤٩.

[2]) تاريخ ابن خلدون:٢/٣٤٧.

الثاني: المضاف، سواء كانت الإضافة محضة؛ نحو: {رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا}،أو غير محضة؛ نحو: يا حسن الوجه.

الثالث: الشبيه بالمضاف، وهو ما اتصل به شيء من تمام معناه؛ نحو: يا حسناً وجهه، ويا طالعا جبلاً، ويا رفيقاً بالعباد، ويا ثلاثة وثلاثين، فيمن سميته بذلك.

والقسم الثالث: ما يجوز ضمه وفتحه،وهو نوعان:أحدهما: أن يكون علماً مفرداً، موصوفاً بابن، متصل به، مضاف إلى علم، نحو: يا زيد بن سعيد. والمختار عند البصريين –غير المبرد– الفتح، ومنه قوله([1]):

يا حكم بن المنذر بن الجارود... سرادق المجد عليك ممدود

يا: حرف نداء. حكم: منادى مبني على الضم في محل نصب؛ أو مبني على الفتح للإتباع

في محل نصب، والأول أفضل. ابن: صفة لـ "الحكم" باعتبار محله منصوب، وهو مضاف. المنذر: مضاف إليه/. ابن: صفة لـ "المنذر" مجرور، و مضاف. الجارود: مضاف إليه، وسكن لضررة الشعر. سرادق: مبتدأ مرفوع، وهو مضاف. المجد: مضاف إليه مجرور. "عليك": متعلق بـ "ممدود" الآتي. ممدود: خبر مرفوع.

ويتعين الضم في نحو: يا رجل ابن عمرو، ويا زيد ابن أخينا؛ لانتفاء علمية المنادى في الأولى؛ وعلمية المضاف إليه في الثانية، وفي نحو: يا زيد الفاضل ابن عمرو، لوجود الفصل، وفي نحو: يا زيد الفاضل؛ لأن الصفة غير "ابن"، ولم يشترط ذلك الكوفيون، وأنشدوا([2]):

فَمَا كَعْب بن امامة وَابْن سعدى ... بأجود مِنْك يَا عمر الجوادا

---

[1]) ينظر:الشعر والشعراء، الدينوري:٦٧٤/٢، تاريخ مدينة دمشق، أبي القاسم علي بن هبة الله بن عبد الله الشافعي:٢٩٦/٦١.

[2]) الحماسة البصرية، أبو الحسن البصري:١٣٥/١، ديوان جرير:١٢٦/١.

يا: حرف نداء. عمر: منادى مفرد علم مبني على الفتح؛ لأنه موصوف بالجواد المنصوب، أو مبني على الضم المقدر على آخره، منع من ظهوره فتح الإتباع. الجوادا: صفة لـ "عمر" على المحل، والألف للإطلاق.

والوصف بابنة كالوصف بابن، نحو: يا هند بنت عمرو. ولا أثر للوصف ببنت، فنحو: يا هند بنت عمرو، واجب الضم.

الثاني: أن يكرر مضافاً، نحو:

أيا سعدَ سعدَ الأوس كن أنت ناصرًا ... ويا سعدَ سعدَ الخزرجين الغطارفِ

فالثاني واجب النصب، والوجهان في الأول؛ فإن ضممته، فالثاني بيان أو بدل، أو بإضمار "يا"، أو "أعني"، وإن فتحته؛ مضاف لما بعد الثاني، والثاني مقحم بينهما.

القسم الرابع: ما يجوز ضمه ونصبه، وهو المنادى المستحق للضم، إذا اضطر الشاعر إلى تنوينه؛ كقوله([1]):

سلام الله يا مطر عليها...وليس عليك مطر السلام

فسلام: مبتدأ مرفوع، وهو مضاف. الله: "لفظ الجلالة" مضاف إليه مجرور. يا: حرف نداء، لا محل له من الإعراب. مطر: منادى مفرد علم مبني على الضم، في محل نصب على النداء، ونُوِّنَ للضرورة الشعرية. "عليها": متعلق بمحذوف خبر المبتدأ "سلام"؛ أو متعلق بـ "سلام" ويكون الخبر محذوفا؛ والتقدير: سلام الله عليها حاصل أو كائن مثلا. وليس: الواو عاطفة، ليس: فعل ماضٍ ناقص. "عليك": متعلق بالخبر المقدم المحذوف. يا: حرف نداء، لا محل له من الإعراب. مطر: منادى مبني على الضم في محل نصب على النداء؛ وجملة "يا مطر": اعتراضية، لا محل لها. السلام: اسم ليس مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة.

المطلب الثاني

مسائل واستثناءات لا بد منها

---

[1]) الأغاني، أبي الفرج الأصفهاني: ٢٨٣/١٥.

المسألة الأولى: المواضع التي يجوز فيها نداء ما فيه "أل"

لا يجوز نداء ما فيه "أل"إلا في أربع صور([1]):

إحداها: اسم الله تعالى، تقول: "يا الله" بإثبات الألفين، و"يَللَّه" بحذفهما، و"ياله" بحذف الثانية فقط، والأكثر أن يحذف حرف النداء، ويعوض عنه الميم المشددة؛ فتقول: "اللهم" وقد يجمع بينهما في الضرورة الشعرية النادرة كقوله([2]):

إني إذا ما حدث ألما.....أقول يا اللهم يا اللهما

الثانية: الجمل المحكية؛ نحو: "يا المنطلق زيد"؛ فيمن سمي بذلك، نصَّ على ذلك سيبويه، وزاد عليه المبرد ما سمي به من موصول مبدوء ب(أل)، نحو: الذي والتي.

الثالثة: اسم الجنس المشبه به؛ كقولك: "يا الخليفة هيفة".

الرابعة: ضرورة الشعر ؛ كقوله([3]):

عباس يا الملك المتوج والذي... عرفت له بيتَ العُلا عدنانُ

الإعراب: عباس: منادى بحرف محذوف، مبني على الضم في محل نصب. يا: حرف نداء، لا محل له من الإعراب. الملك: منادى مبني على الضم في محل نصب على النداء. المتوج: صفة لـ "الملك" يجوز فيها الرفع إتباعا على لفظ الموصوف؛ ويجوز فيها النصب إتباعا على محل الموصوف. والذي: الواو عاطفة، الذي: اسم موصول، مبني على السكون، معطوف على المتوَّج في حل رفع أو نصب.

المسألة الثانية:حذف حرف النداء

---

[1]) ينظر:شرح التصريح على التوضيح: ٢/ ٢٢٤، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك : ٢/ ٤٤٣، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السيوطي:٦٣/٢، الخصائص، ابن جني:٣٣٣/١-٣٣٧.

[2]) ينظر: المقتضب، المبرد: ٤/ ٢٤٢، المخصص، ابن سيده المرسي: ١/ ١٣٧، ٢٣٨.

[3]) انظر حاشية الصبان: ٣/ ١٤٥،الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين،أبو البركات:٢٧٤/١،شرح الأشموني على ألفية ابن مالك:٢٩/٣، همع الهوامع:٤٧/٢.

السؤال الذي يدور في الذهن هل يجوز حذف حرف النداء؟

يجوز حذف حرف النداء في المواطن التالية([1]):

- المنادى المفرد:﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ﴾{يوسف:٢٩}.

حذف حرف النداء "يا"؛ لأن التقدير(يا يوسف) وحكم هذا الحذف جائز باتفاق.

- الشبيه بالمفرد:﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴾{الرحمن:٣١} .

حذف حرف النداء قبل أيها؛ لأن التقدير: يا أيها الثقلان.

-المضاف﴿ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ ﴾ {الدخان:٨١}.

حُذِفَ حرف النداء "يا" قبل المنادى المضاف عباد الله، ويجوز أن يكون عباد الله مفعولا لـ "أدوا"، والأول أرجح.

إلا في ثماني مسائل لا يجوز فيها حذف حرف النداء:

- المندوب نحو: "يا عمرا"
- والمستغاث؛ نحو: "ياالله"
- والمنادى البعيد؛ لأن المراد فيهن إطالة الصوت، والحذف ينافيه.
- واسم الجنس غير المعين(النكرة غير المقصودة)، كقول الأعمى: "يا رجلا خذ بيدي".
- والمضمر، ونداؤه شاذ، المراد: ضمير المخاطب؛ لأن غيره لا ينادى مطلقا؛ فلا يقال: يا أنا، ولا يا هو. وإنما امتنع الحذف؛ لأن حذف الحرف معه، يفوت الدلالة على النداء،ويأتي على صيغتي المنصوب والمرفوع؛ كقول بعضهم: "يا إياك قد كفيتك"
- واسم الله تعالى إذا لم يعوض في آخره الميم المشددة، وأجازه بعضهم وعليه قوله:

رضيت بك اللهم ربًّا فلن أرى ... أدين إلها غيرك الله ثانيا

---

[1])ينظر: علل النحو، ابن الوراق:٢٤٨/١، المفصل في صنعة الإعراب، الزمخشري:٦٨/١، مغني اللبيب عن كتاب الأعاريب، ابن هشام:٨٤٠/١

مجيء "الله" في عجز البيت منادى بحرف نداء محذوف ومن دون أن يعوض عنه بالميم المشددة؛ وذلك شاذ، ولا يقاس عليه، و يجب حذف حرف النداء متى لحقت الميم لفظ الجلالة؛ لأنه لا يجمع بين العوض والمعوض عنه؛ وما جاء مغايرا لذلك؛ فهو مخالف للقياس.

– واسم الإشارة، واسم الجنس لمعين(النكرة المقصودة المبنية على الضم عند ندائها)، خلافا للكوفيين فيها، واحتجوا بقوله:

إذا هملت عيني لها قال صاحبي...بمثلك هذا لوعة وغرام

نادى الشاعر اسم الإشارة"هذا" وحذف حرف النداء؛ على مذهب الكوفيين؛ الذين أجازوا حذف حرف النداء، واسم إشارة هذا: ها: للتنبيه، و"إذا" اسم إشارة منادى بحرف نداء محذوف والتقدير: يا هذا؛ و"جملة النداء" اعتراضية، لا محل لها من الإعراب.

–وقولهم: "أطرِقْ كَرَا"،هذا جزء من مثل، وتمامه: "إن النعام في القرى"؛ وهو مثل يضرب لمن تكبر وقد تواضع من هو أشرف منه؛ أي اخفض يا كرا عنقك للصيد، فإن من هو أكبر وأطول عنقا منك –وهو النعام– قد صيد وجيء به من مكانه إلى القرى؛ وأصله: يا كروان، فرخم، بحذف النون والألف، ثم قلبت الواو ألفا؛ لتحركها وانفتاح ما قبلها، وشذوذه من وجهين؛ حذف حرف النداء، وترخيمه.

و"افتدِ مخنوقُ" مثل يضرب لكل مضطرٍّ وقع في شدة وضيق؛ وهو يبخل بافتداء نفسه بماله؛ أي افْتَدِ نفسك يا مخنوق.

و"أصبِحْ ليلُ" مثل يضرب لمن يظهر الكراهة والبغض للشيء؛ أي: ائت بالصبح، يا ليل. فقد حذف حرف النداء من هذه الأمثلة، مع أن المنادى اسم إشارة في المثال الأول، واسم جنس في الأخيرين، وذلك عند البصريين، ضرورة وشذوذ.

المبحث الثالث

وجوه النداء في كتاب رب السماء

المطلب الأول

نداء عام من اللّه في الدنيا([1])

نداء وخطاب من الله تعالى لأهل الدنيا عامة دون تخصيص نفر معين، لما فيه من القوة والتشديد والوعد والوعيد والتنبيه والتذكير لكل زمان ومكان؛ لأن الناس فيهم البر والفاجر والمؤمن والكافر، وهذا النداء يقسم على ستة مراتب وهي:

المرتبة الأولى: نداء الجنس

والنداء هنا عام لكل الناس، في كل زمان وكل مكان، إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها يراد به العموم لا كل فرد بعينه فلا يدخل تحته غير المكلف كالمجنون والصغير لغرض التنبيه والتذكير والموعظة لأمر أو نهي وغير ذلك يأتي بعد النداء في عشرون موضعاً بالقرآن الكريم([2]).

مثال ذلك ما أفتتح الله تعالى به سورة النساء براعة واستهلالاً بالرغم من أن السورة مدنية لما اشتملت عليه من أحكام الزواج والمواريث والمصاهرة وغير ذلك من أحكام الرابطة الزوجية.والغالب إذا كان الخطاب ب"يا أَيُّهَا النَّاسُ" وكان الخطاب للكافرين فقط أو معهم غيرهم أعقب بدلائل الوحدانية والربوبية، وإذا كان الخطاب

---

[1]) ينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي: ١٥/٣

[2]) ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي:٢٢٦/٢، الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم، علي بن نايف الشحود:٨/١

للمؤمنين أعقب بذكر النعم قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبٗا﴾ {النساء: ١}([1]).

في هذه الآية تنبيه واضح على وجود الإله الخالق الصانع المدبر المتقن، وعلى افتتاح الوجود الإنساني بخلق العالم في الأصل من نفس واحدة هي آدم عليه السلام أبو البشر الذي خلقه الله وسوّاه بيديه وقدرته من طين، ونفخ فيه من روحه، فكان إنسانا كامل الخلقة والتكوين. ثم خلق الله تعالى حواء من جنس آدم في الطبيعة والتركيب، والبنية والغريزة، والأخلاق والصفات المتشابهة([2]).

الإعراب:

«يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ» يا: أداة النداء.

أي: منادى مبني على الضم في محل نصب، والهاء: للتنبيه.

الناس بدل من (أي)، وجملة اتقوا ربكم ابتدائية لا محل لها من الإعراب، واتقوا: فعل أمر مبني على حذف النون لاتصاله بواو الجماعة، والواو:ضمير متصل مبني في محل الرفع فاعل، ربكم: مفعول به منصوب بالفتحة، والكاف: ضمير متصل في محل النصب مفعول به، والميم للجمع.

«الَّذِي»: اسم موصول صفة لربكم وجملة «خَلَقَكُمْ» صلته، «مِنْ نَفْسٍ»: متعلقان بخلقكم، «واحِدَةٍ»: صفة مجرورة بالكسرة، «وَخَلَقَ مِنْها» الجملة معطوفة على ما قبلها والجار والمجرور متعلقان بالفعل «زَوْجَها» مفعوله،«وَبَثَّ مِنْهُما رِجالًا كَثِيراً وَنِساءً» فعل ماض ومفعوله وقد تعلق بالفعل الجار والمجرور كثيرا صفة ونساء معطوفة، «وَاتَّقُوا اللَّهَ»: فعل أمر والفاعل: ضمير مستتر تقديره (انتم). ولفظ الجلالة مفعول به والجملة معطوفة على اتقوا الأولى،«الَّذِي» اسم موصول صفة (لله)، «تَسائَلُونَ» فعل

---

[1]) ينظر: تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي : ١٦٢/٣،

[2]) التفسير الوسيط، الزحيلي: ٢٧٩/١.

مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعله، «بِهِ» متعلقان بالفعل والجملة صلة الموصول «وَالْأَرْحامَ» عطف على الله، «إِنَّ اللَّهَ» إن: من الأحرف المشبهة بالفعل، ولفظ الجلالة اسمها، «كانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً» كان:فعل ماضي ناقص مبني على الفتح، و"رقيبا": خبرها الذي به تعلق الجار والمجرور قبله واسم كان ضمير مستتر يعود إلى الله وجملة «كانَ عَلَيْكُمْ» في محل رفع خبر وجملة «إِنَّ اللَّهَ» تعليلية لا محل لها.

الأوجه البلاغية:

يوجد طباق([1]) في قوله تعالى"رجالاً"و"نساءً" كما يوجد أسلوب بلاغي آخر وهو الإيجاز([2])"رجالاً كثيراً ونساء"أي: ونساء كثيرات.

القرآن هو تعبير بياني مقصود أي أن كل كلمة وكل حرف فيه وُضع وضعاً مقصوداً. فاللمسة البيانية في استخدام كلمة (الله) و (الربّ) في الآيتين: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا) سورة النساء وقوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم) سورة النساء أن لفظ الجلالة الله هو اللفظ العامّ لله تعالى ويُذكر هذا اللفظ دائماً في مقام التخويف الشديد وفي مقام التكليف والتهديد. أما كلمة الربّ فتأتي بصفة المالك والسيّد والمربي والهادي والمرشد والمعلم وتأتي عند ذكر فضل الله على الناس جميعاً مؤمنين وغير مؤمنين فهو سبحانه المتفضّل عليهم والذي أنشأهم وأوجدهم من عدم وأنعم عليهم. والخطاب في الآية الثانية للناس جميعاً وهو سبحانه يذكر النعمة عليهم بأن خلقهم والذين من قبلهم، ولذا جاءت كلمة (ربكم) بمعنى الربوبية. وعادة عندما تذكر الهداية في القرآن الكريم تأتي معها لفظ الربوبية (ربّ)([3]) .

المرتبة الثانية: نداء النسبة

---

[1])الطباق: والطباق الجمع بين معنيين متقابلين في الجملة، سواء كان التقابل على جهة التضاد أو السلب والإيجاب أو غير ذلك.ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي: ٣٠٣/١.

[2]) الإيجاز: وضع المعاني الكثيرة في ألفاظ أقل. المصدر السابق:١٩٧/١

[3]) ينظر: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل السامرائي: ٥٨٦/١.

نداء عام لجميع الأمم وإن كان وارداً على سبب مخصوص فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وقد يصاحب هذا النداء أمر أو نهي أو توبيخ أو تبكيت أو تقريع بطريق التحبب والاستعطاف والتمنن والاستضعاف وذلك حسب سياق الآية الذي يقتضيه هذا الوجه من وجوه النداء([1]).

مثال ذلك: فقد نادى الله سبحان وتعالى مخاطباً ذرية آدم فينسبه إلى آدم في خمسة مواضع في القرآن الكريم ب(يا بني آدم) وقد يخصص هذا النداء فينادي الله تعالى مخاطباً اليهود أو الأحبار فينسبهم إلى نبي الله يعقوب باسمه الثاني(يا بني إسرائيل) في ستة مواضع في القرآن الكريم.

وأحد المواضع التي نادى الله تعالى بها ذرية آدم ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴾ {الأعراف:٢٦}،هذه الآية مسوقة في سياق الامتنان، واللباس:هو اللباس الضروري الذي تستر به العورة. والريش:هو اللباس الزائد عن الضروري الذي يتجمل به الإنسان. وسَوْءَاتِكُمْ: عوراتكم، وسميت العورة سوءة؛ لأن العاقل يسوؤه أن تظهر عورته للناس([2])، فالله يقول في باب الامتنان على عباده: ((يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا)) لباساً ضرورياً، ولباساً زائداً تتزينون به، فلما ذكر الله اللباس الحسي ذكر اللباس المعنوي فقال جل وعلا: ((وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ)) أي: خير من كل شيء، خير من كل لباس، ولباس التقوى: أن يكون الإنسان مكتسياً بتقوى الرب تبارك وتعالى في قلبه، يخشى الله تبارك وتعالى ويخافه، ويجتنب نواهيه ويأتي أوامره، فهذا هو المؤمن حقاً الذي ارتدى خير لباس، فاللباس الحسي يبلى ويبيد ولا ينفعك في

---

[1]) ينظر: تفسير الخازن(لباب التأويل في معالم التنزيل): ٢٢٦/٢، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر ألبقاعي :٢١/٣، تفسير فتح القدير، الشوكاني :٢٠٠/٢

[2]) ينظر: تفسير الخازن: ٢٢٠/٢.

الآخرة، بل تستر به عورتك في الدنيا فقط، أما لباس التقوى فهو الذي عليه معيار العقاب والحساب والثواب يوم القيامة([1]).

الإعراب:

(يا): حرف نداء،(بني): منادى مضاف منصوب وعلامة النصب الياء؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم،(آدم) مضاف إليه مجرور وعلامة جرّه الفتحة؛لأنه ممنوع من الصرف،(قد):حرف تحقيق،(أنزلنا):فعل ماض مبنيّ على السكون،(ونا):ضمير رفع متصل مبني على السكون في محل رفع فاعل، (على): حرف جرّ، (كم) ضمير متصل في محلّ جرّ متعلّق ب (أنزلنا)،(لباسا):مفعول به منصوب بالفتحة، (يواري): فعل مضارع مرفوع وعلامة الرفع الضمّة المقدّرة على الياء منع من ظهورها الثقل.(سوءات):مفعول به منصوب وعلامة النصب الكسرة، (كم): ضمير متصل مضاف إليه (الواو): عاطفة، (ريشا): معطوف على لباس منصوب بالفتحة، وهو نائب عن موصوف محذوف أي لباسا ريشا أي زينة، (الواو): استئنافيّة، (لباس): مبتدأ مرفوع بالضمة، (التقوى): مضاف إليه مجرور وعلامة الجرّ الكسرة المقدّرة على الألف، (ذلك): اسم إشارة مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ، و(اللام) للبعد، و(الكاف) للخطاب، (خير): خبر الإشارة مرفوع، (ذلك): اسم إشارة مبني في محل الرفع، (من آيات): جارّ ومجرور متعلّق بخبر المبتدأ ذلك، (الله): لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور، (لعلّ): حرف مشبه بالفعل للترجّي، و(هم): ضمير في محلّ نصب اسم لعلّ (يذّكّرون) مضارع مرفوع، و(الواو): فاعل.

البلاغة:

الاستعارة المكنية التخيلية([2]) في قوله تعالى: «وَلِباسُ التَّقْوى».

---

[1]) ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري: ٩٣/٢

[2]) الاستعارة المكنية التخييلية: هي نفس اثبات اللازم المستعمل في حقيقته – وهي من المجاز العقلي، وإنما سميت استعارة: لأنه استعير ذلك الإثبات من المشبه به، للمشبه، وسميت تخييلية لان إثباته للمشبه خيل اتحاده مع المشبه به، جواهر البلاغة: ٢٦٩/١.

المرتبة الثالثة: نداء الإضافة

هو نداء التأله والعبودية والمحبة والتحنن والاستعطاف وعام في نداء أهل السماوات والأرض جميعهم برهم و فاجرهم مؤمنهم وكافرهم([1])، وصيغة هذا النداء (يا عبادي الذين) فأضاف العباد إلى نفسه لقصد تشريفهم ومزيد تبشيرهم؛ لأن عادة القرآن جارية بتخصيص لفظ العباد بالمؤمنين المطيعين المتقين، ومثال ذلك قول الله تعالى: ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴾{الزخرف:٦٨}، أي أن الله الحق . سبحانه وتعالى . خاطب عباده بنفسه من غير واسطة وهذا تشريف عظيم بدليل أنه تعالى لما أراد تشريف نبيه محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى: ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ ﴾{الإسراء:١}، قوله:{لا خوف} أي: بوجه من الوجوه {عليكم اليوم} أي: في يوم الآخرة مما يحويه من الأهوال والأمور الشداد والزلزال ،وقوله تعالى:{ولا أنتم تحزنون} أي: لا يتجدد لكم حزن على شيء فات في وقت من الأوقات الآتية لأنكم لا يفوتكم شيء تسرون به، وقرأ شعبة بفتح الياء في الوصل وسكنها نافع وأبو عمرو وابن عامر وحذفها الباقون وقفاً ووصلاً([2]).

الإعراب:

(يا):حرف نداء،(عباد): منادى مضاف منصوب وعلامة النصب الفتحة المقدّرة على ما قبل ياء المتكلّم المحذوفة للتخفيف،(لا): نافية،(خوف): مبتدأ مرفوع بالضمة، (عليكم): متعلّق بخبر المبتدأ،(اليوم): ظرف منصوب متعلّق بالخبر المحذوف،(الواو):عاطفة،(لا):زائدة لتأكيد النفي واجبة التكرار (أنتم): مبتدأ و(تحزنون): جملة فعلية في محل رفع خبر.

البلاغة:

---

[1]) ينظر: مباحث العقيدة في سورة الزمر، ناصر بن علي عايض حسن الشيخ:٢٤٣/١

[2]) ينظر: تفسير الرازي(مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير): ١٩٣/٣١.

حفلت هذه الآية بفن من فنون البلاغة والبيان وهو الإيجاز في نداء الله تعالى لعباده، فقد اشتمل هذا النداء على أمور أربعة: ١- نفى عنهم الخوف ٢- نفى عنهم الحزن ٣- أمرهم بدخول الجنة ٤- بشّرهم باستحواذ السرور على أنفسهم.

وقد يخصص هذا الوجه بقرينة تبين إلى من وجه له هذا النداء، ومثال هذا الوجه في أشد وأرجى آية في كتاب الله: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ {الزمر:٥٣}، فخاطب الله بالعبودية العامة الذين أسرفوا و تجاوزوا الحد في أفعالهم، بالإسراف أو الإفراط في المعاصي (لا تَقْنَطُوا) لا تيأسوا من مغفرته وتفضله إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً عفوا منه.

الإعراب:

قل: فعل أمر مبني على السكون، (يا):أداة نداء، (عبادي): منادى مضاف إلى ياء المتكلم المفتوحة، (الذين): نعت لعبادي وجملة أسرفوا صلة وعلى أنفسهم متعلقان ب(أسرفوا)، (لا): ناهية جازمة، (تقنطوا): فعل مضارع مجزوم ب(لا)، (الواو): فاعل، (من رحمة الله): متعلقان ب(تقنطوا). (إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) إن:من الأحرف المشبهة بالفعل، (الله): لفظ الجلالة اسم إن منصوب بالفتحة، (يغفر): خبر إن مرفوع بالضمة والجملة تعليل للنهي عن القنوط ولذلك قيل: هذه أرجى آية في القرآن، (الذنوب): مفعول به منصوب بالفتحة و(جميعا): حال منصوبة بالفتحة، (إن): حرف مشبه بالفعل، و(الهاء): ضمير فصل أو مبتدأ، (الغفور الرحيم) خبران ل(إن) أو ل(هو) والجملة خبر إن.

البلاغة:

في قوله: «قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم» فنون متنوعة من علمي البديع والبيان نلخصها فيما يلي([1]):

١. نداؤهم، وفي ذلك من التودّد إليهم والتلطف بهم ما يهيب بذوي العقول منهم إلى المبادرة بالإنابة والرجوع بالتوبة.

٢. إضافتهم إليه إضافة تشريف لهم، وأنهم خُلِقُ بآصرة العبودية.

٣. إضافة الرحمة إلى أخص أسمائه تعالى وأجلها وأنها هي الأصل في معاملته لعباده.

٤. الالتفات([2]) من التكلم إلى الغيبة في قوله من رحمة الله لتخصيص الرحمة بالاسم الكريم كما تقدم آنفا.

٥. إبراز الجملة من قوله إنه هو الغفور الرحيم مؤكدة بأن وبضمير الفصل وبالصفتين المودعتين للمبالغة فهذه خمسة فنون كاملة في آية واحدة.

أما اللمسة البيانية في بيان الفرق بين ذكر الياء وعدم ذكرها في سورة الزمر ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣)﴾ ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢٠)﴾! كلما يقول عبادي يكون أكثر من عبادِ مناسبة لسعة الكلمة وطولها وسعة

---

[1]) إعراب القرآن وبيانه، محي الدين درويش: ٤٣٦/٨.

[2]) الالتفات: وهو الانتقال من كل من التكلم – أو الخطاب أو الغيبة – إلى صاحبه، لمقتضيات ومناسبات تظهر بالتأمل في مواقع الالتفات، تفنناً في الحديث، وتلويناً للخطاب، حتى لا يمل السّامع من التزام حالة واحدة، وتنشيطا وحملا له على زيادة الإصغاء: «فان لكل جديد لذة» ولبعض مواقعه لطائف، ملاكُ إدراكها الذوق السليم. جواهر البلاغة: ٢١٢/١.

المجموعة. (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) الذين أسرفوا كثير.

المؤمنون أكثر من المتقين لأن المتقين جزء من المؤمنين. مع المؤمنين جاء بـ (عبادي) بالياء ومع المتقين جاء بـ (عبادِ) بدون ياء في سورة الزخرف ذكر أنهم المتقون (الْأَخِلَّاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ {٦٧}) ثم أضافهم إلى نفسه تعالى وهذا أشرف فخاطبهم (يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ {٦٨}) ثم طمأنهم من الخوف مخاطباً إياهم مباشرة (لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُون).

المرتبة الرابعة: نداء الجمع بلفظ الواحد([1]):

نداء استدعاء لمعاني الإنسانية التي استودعها الله سبحانه وتعالى في الإنسان من قوى عاقلة مدركة من شأنها أن تميز بين الخير والشر وتفرق بين الإحسان والإساءة وأن تضع بين يدي الإنسان ميزاناً سليماً يضع بين إحدى كفتيه ما أحسن الله به إليه، ويضع في الكفة الأخرى ما يقدر عليه من شكر، ذاك أن الإنسان عقل يدرك وقلب يحب، ولذلك خاطبه الله تعالى بلمسات عتاب مبطنة بالوعيد لهذا الإنسان الذي يقف أمام ربه مذنباً مغتراً غير محترم لجلال الله في قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾{الانفطار:٦}، ف(يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ) خطاب لجنس بني آدم، (ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ) هذا توبيخ وعتاب معناه: أي شيء غرّك بربك حتى كفرت به أو عصيته، أو غفلت عنه فدخل في العتاب الكفار وعصاة المؤمنين، ومن يغفل عن الله في بعض الأحيان من الصالحين. وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرأ ما غرّك بربك الكريم فقال: غرّه جهله وقال عمر: غرّه جهله وحمقه. وقرأ إنه كان ظلوما جهولا، وقيل: غرّه الشيطان المسلط عليه([2]).

---

[1])ينظر: الإتقان في علوم القرآن: ١١١/٣، البرهان في علوم القرآن:٢٣٣/٣.

[2])ينظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب:١٤٨٠/١٦، المهذب في تفسير جزء عم، علي نايف الشحود: ٢٧٧/١.

الإعراب:

(يا): حرف نداء، و(أيّها): منادى نكرة مقصودة مبني على الضم في محل نصب ب(يا)، و(الهاء): للتنبيه، و(الإنسان): بدل، و(ما): اسم استفهام مبتدأ، وجملة (غرّك): خبره، و(بربك) متعلقان ب(غرّك)، و(الكريم): صفة لربك.

المرتبة الخامسة:نداء الواحد بلفظ الجمع([1])

نداء عام موجه من الله سبحانه وتعالى إلى الرسل وأتباعهم جميعاً، وقد خصّ الرسل بالنداء لأنهم القدوة والمثل للإنسانية كلها عامة، ولأقوامهم خاصة.

ومثال ذلك قوله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾ {المؤمنون:٥١}، فَأْمُرُ الله سبحانه وتَعَالَى عِبَادَهُ الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَجْمَعِينَ بِالْأَكْلِ مِنَ الْحَلَالِ، وَالْقِيَامِ بِالصَّالِحِ مِنَ الْأَعْمَالِ، فَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ الْحَلَالَ عَوْنٌ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَقَامَ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بِهَذَا أَتَمَّ الْقِيَامِ، وَجَمَعُوا بَيْنَ كُلِّ خَيْرٍ قَوْلًا وَعَمَلًا وَدَلَالَةً وَنُصْحًا، وهذا النداء موجه للرسل عامة وللنبي(ﷺ) وأمته خاصة؛ لأنه لم يكن في عصره رسول سواه ؛ وإنما جمع ها هنا؛ لأن من كذب رسولا واحدا فقد كفر بجميع الرسل([2])، ولقد روى الإمام أحمد ومسلم والترمذي في صدد الآية حديثا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "يَا أَيُّها النَّاسُ إنَّ الله طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إلاَّ طَيِّباً، وَإنَّ الله تَعَالَى أمَرَ المُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ المُرْسَلِينَ، فَقَالَ: يا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّباتِ وقال: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّباتِ مَا رَزَقْناكُمْ [البقرة: ٥٧] . ثمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ، يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إلى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِّيَ بِالحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لذلك"([3]).

---

[1]) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: ١١١/٣، البرهان في علوم القرآن:٢٣٣/٣.

[2]) ينظر: النبوة والأنبياء في القرآن والسنة، علي بن نايف الشحود: ١٧/١، تفسير بن كثير: ٤٧٧/٥.

[3]) صحيح مسلم: ٧٠٣/٢ (رقم ١٠١٥).

الإعراب:

(يا): حرف نداء، (أيّ) :منادى نكرة مقصودة مبنيّ على الضمّ في محلّ نصب، و(ها): حرف تنبيه، (الرسل): بدل من أيّ، (كلوا): فعل أمر مبني على حذف النون، و(الواو): فاعل، و(من الطيبات): متعلقان ب(كلوا)، والمراد بالطيبات ما حل وطاب. و(اعملوا): عطف على كلوا، و(صالحا): مفعول به أو مفعول مطلق، وجملة (إني): تعليل للأمر و(إن واسمها) وبما متعلقان بعليم، وجملة(تعملون): صلة، و(عليم): خبر إن.

المرتبة السادسة: نداء التعجيز والتحدي

نداء عام من الله تعالى إلى الجماعة المختلطة اختلاط تعايش وهم الثقلين من الجن والإنس في عالم الآخرة، بأسلوب الالتفات من الجماعة إلى الاثنين([1]).

وهذا النداء في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم وأحد هذه المواضع قول الله تعالى: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴾{الرحمن:٣٣}، نداء إلى الجنّ والإنس، بأن يختبرا قوتهما وسلطانهما أمام قوة الله وسلطانه.. إنهما محاسبون ومسئولون بين يدي الله، وَالْمَعْشَرُ: الجماعة التامة من القوم التي تشتمل على أصناف الطوائف، ومنه قيل للعَشَرَة لأنها تمام العِقْد اسْمٌ لِلْجَمْعِ الْكَثِيرِ الَّذِي يُعَدُّ عَشَرَةً عَشَرَةً دُونَ آحَادٍ، وإنما يسمى كل من الجن والإنس معشرًا ؛ لأنهم جماعة من عقلاء الخلق([2]).

ففي الآية الكريمة إغراء وتحريض لعالمي الإنس والجن، على التسابق في ارتياد هذا الكون، والنفوذ من أقطار السموات والأرض، والغوص في أعماقهما، ولكن ذلك لا يكون إلا لمن ملك بين يديه القوة التي تمكن له من اخترق أطباق الأرض، وأجواء السماء، وتلك القوة هي التي أشارت إليها الآية الكريمة بكلمة «سلطان» .. والسلطان

---

[1])ينظر: تفسير الشعراوي: ٣٩٤٧/٧، البرهان في علوم القرآن، الزركشي: ٣٣٥/٣

[2])تفسير الماوردي(النكت والعيون):١٧٠/٢، التحرير والتنوير، ابن عاشور: ٢٥٨/٢٧.

الذي يمنح الإنسان تلك القوة، هو العلم..فبسلطان العلم يمتلك الإنسان القوة، وبتلك القوة وبالقدر الذي يحصل عليه الإنسان منها، يكون مبلغه من النفوذ في أقطار السموات والأرض([1])..

ويلاحظ كذلك في هذه الآية أنه تعالى قد ذكر الجن مقدم على الإنس، لأن الجن سبقت الإنس في بلوغ أقطار السماء لقوله تعالى{وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع}، وثانيا لأن التركيبة التكوينية للجن أقرب وأسهل للنفاذ من التركيبة التكوينية للإنس فالأول من نار والنار حرارة وصفة الحرارة النفوذ عبر الحواجز، أما تركيبة الإنسان الترابية فصفتها التثاقل والسكون واستحالة النفوذ عبر الحواجز، وهي بذلك أحوج من الجن لاستكمال نقصها المترتب عليها من تركيبتها التكوينية([2]).

الإعراب:

(يا): حرف نداء، و(معشر الجن): منادى مضاف، و(الإنس) عطف على الجن، و(إن): شرطية، و(استطعتم): فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، و(أن): حرف مصدري ونصب، و(تنفذوا): فعل مضارع منصوب ب(أن)، وأن وما في حيزها في موضع نصب مفعول (استطعتم)، و(من أقطار السموات والأرض: متعلقان ب(تنفذوا)، (فانفذوا): (الفاء): رابطة لجواب الشرط لأن الجواب طلب، و(أنفذوا): فعل أمر، و(الواو): فاعل والمراد بالأمر هنا التعجيز ،(لا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطانٍ): (لا): نافية، و(تنفذون): فعل مضارع مرفوع والواو فاعل، و(إلا): أداة حصر، و(بسلطان): متعلقان ب(تنفذون).

المطلب الثاني

نداء خاص من اللّه للآدميين في الدنيا([3])

---

[1]) التفسير القرآني للقرآن: ٢٢٦/٧.

[2]) ينظر: الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم: ٣٧٢/١.

[3]) ينظر: معترك الأقران:١٥/٣.

نداء خاص من الله لفرد أو جماعة معينة في الدنيا إما تشريعاً أو تعظيماً أو عتاباً أو تشريفاً أو تعليما، وهذه الخاصية قد يراد بها العموم أو الخصوص أو الغير أو العين أو ما لا يعقل بحسب السياق الذي يقتضيه النص أو الآية، ويقسم على ستة مراتب:

المرتبة الأولى: نداء الشريعة

خطاب كريم ونداء عظيم، أنطلق في غابر الزمن، فأثار القلب والشجن، بأمر الله للخليل إبراهيم . عليه الصلاة والسلام . ومن جبل أبي قيس أعظم جبال مكة يصعد إبراهيم بعدما أكتمل البناء؛ لينادي إلى رحمان الأرض والسماء﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ {الحج:٢٧} فيُسمع الله هذه الدعوة الربانية نطفاً في الأرحام ، ويسمعها من يشاء سبحانه من الأحياء والكائنات و الذرات، عندها تبدأ الرحلة العظيمة من أين؟ من أقطار الدنيا كلها تأتي الملايين تلو الملايين على مدار التاريخ لتجيب هذا النداء وتلبي ذاك الدعاء، يفدون إلى بيت الله الحرام من أعماق القارات، ومن شطان المحيطات، و يجتازون عباب البحار ، ويطيرون في جو السماء آمين هذا البيت، وبذلك أنشدوا:

لله در ركائب سارت بهم ... تطوي القفار الشاسعات على الدجى

رحلوا إلى البيت الحرام وقد شجا ... قلب المتيم منهم ما قد شجا

نزلوا بباب لا يخيب نزيله ...وقلوبهم بين المخافة و الرجا

فلله هاتيك الجموع وهي تؤم بيت الله الحرام، فما إن تقارب أرضه إلا وقد ضجت حنا جرها، وتعالت أصواتها:" لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك "([1]).

الإعراب:

[1]) لطائف المعارف، ابن رجب: ٢٧٣/١.

و(أذن) فعل أمر أي ناد بدعوة الحج والأمر به والخطاب لإبراهيم كما يقتضيه السياق وعليه المفسرون.(وفي الناس) متعلقان ب(أذن) وبـ(الحج) متعلقان بمحذوف حال أي: معلنا،و(يأتوك) مضارع مجزوم لأنه وقع جوابا للطلب و(الواو): فاعل، و(الكاف): مفعول به،و(رجالا): حال منصوبة من فاعل (يأتوك)، (وعلى كل ضامر) عطف على رجالا أي مشاة وركبانا ومتعلق بحال محذوف أي: ركباناً على كل ضامر، و(يأتين): فعل مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة،و(النون): فاعل ضمير عائد على الضوامر(من كل)متعلق بـ(يأتين)، وجملة يأتين صفة لكل ضامر؛ لأنه في معنى الجمع وقرئ يأتون صفة للرجال والركبان، و(من كل فج) متعلقان ب(يأتين) و(عميق): صفة لفج.

وأما دلالة الخطاب بـ (الناس) في الحج (وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ (٢٧) الحج) (وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلا (٩٧) آل عمران) بينما الخطاب في الصلاة وغيرها بـ (يا أيها الذين آمنوا)؟، أن الحج يختلف عن كل العبادات. لما قال تعالى (وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ) هذه دعوة للناس أجمعين للدخول في الإسلام بخلاف ما لو قال صلّوا أو صوموا. دعوة لجميع الناس للدخول في الإسلام، كيف؟ الصلاة الصيام والزكاة الديانات مشتركة فيها. قال تعالى عن إسماعيل (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا (٥٤) وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا (٥٥) مريم) وقال (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) البقرة) وقال (وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (٨٧) يونس) وكفار قريش كانوا يصلّوا (وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاء وَتَصْدِيَةً فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٥) الأنفال) فلو قال صلّوا لقالوا إنما نصلي ولو قال زكّوا لقالوا إننا نزكّي ولو قال صوموا لقالوا إننا نصوم، إذن هذه الدعوات لو قالها لا تكون دعوة للدخول في الإسلام بخلاف الحج. لم يكن أهل الكتاب من النصارى واليهود يحجون إلى بيت الله الحرام. فلما قال تعالى (وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ

حِجُّ الْبَيْتِ) معناها كلٌ مدعوون للدخول في الإسلام لأن هذه العبادة الوحيدة التي لم تكن عند أهل الكتاب. هم كانوا يصلّون ويصومون ويزكّون إلا الحج فلم يكونوا يحجون لمكة. ولذلك هذه دعوة للدخول في دين الله. الحد يختلف عن بقية العبادات لأن بقية العبادات موجودة. إذن قوله تعالى (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ) هو دعوة للدخول في الإسلام وإقامة هذه العبادة([1]).

المرتبة الثانية: نداء التسمية

نداء خصَّ الله به المصطفين الأخيار ممن اجتباهم لتبليغ رسالاته وشرائعه لعباده، فزكاهم وعصمهم فأهلهم ليكونوا أسوة حسنة وقدوة صالحة للناس في العمل بما جاءوا به عن الله تعالى من الصلاح والتقوى ومكارم الأخلاق، كنداء الأنبياء والصالحين، وهذه النداءات نذكرها على سبيل الإحصاء بدون تفسيرها ثم نأخذ نموذجا يوضح ذلك: يا آدم، يا نوح، يا لوط، يا عيسى، يا موسى، يا شعيب، يا هارون، يا قوم، يا إبراهيم، يا صالح، يا هود، يا زكريا، يا يحيى، ولم يقع في القرآن الخطاب ب(يا محمد) بل: (يا أيها النبي) أو (يا أيها الرسول)، تعظيماً وتشريفاً وتخصيصاً بذلك عمن سواه، وتعليماً للمؤمنين أن لا ينادوه باسمه([2]).

ومثال ذلك قول الله تعالى مناديا أبو البشر آدم عليه السلام:﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ {البقرة:٣٥}. وقد سيقت هذه القصة تسلية للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم عما يلاقي من الإنكار، ليعلم أن المعصية من شأن البشر، وأنهم إذا كلفوا بشيء بالرغم من تكريمهم غاية الإكرام قد لا يمتثلون، وأن الله تعالى أمر آدم وزوجه بسكنى الجنة والتمتع بما فيها حيث شاءا، والأكل منهما أكلا هنيئا لا عناء فيه، أو واسعا لا حد له، ونهاهما عن الأكل من شجرة معينة، فالأكل منها ظلم لأنفسهما، ولكن الشيطان

---

[1]) لمسات بيانية في نصوص التنزيل: ١٠٢٨/١.

[2]) ينظر: البرهان في علوم القرآن:٢٢٨/٢، تفسير المراغي: ١٣٧/٩.

عدوهما أزلهما عنها، فأخرجهما من ذلك النعيم، بعد أن أغواهما بالأكل من الشجرة. أو أبعدهما وحوّلهما من الجنة، قائلا: ﴿ما نَهاكُما رَبُّكُما عَنْ هذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونا مِنَ الْخالِدِينَ، وَقاسَمَهُما إِنِّي لَكُما لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف ٧/ ٢٠-٢١] فتغلبت عليهما وساوس الشيطان، وخرجا من الجنة إلى الأرض، وشقاء الدنيا، وقد نشأت العداوة بين البشر والشيطان، فإبليس عدو لآدم وزوجه حواء ولذريتهما، والبشر أعداء له، فاحذروا إغواءه: إِنَّ الشَّيْطانَ لَكُمْ عَدُوٌّ، فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا، إِنَّما يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحابِ السَّعِيرِ [فاطر ٣٥/ ٦] فألهم الله آدم كلمات، فعمل بها هو وزوجته وتابا توبة خالصة، والكلمات هي قوله تعالى: رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا وَتَرْحَمْنا، لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ [الأعراف ٧/ ٢٣] وتقبل الله التوبة، لأنه كثير القبول للتوبة، واسع الرحمة بالعباد، وأصبح الناس في الأرض صنفين: صنف المؤمنين بالله العاملين بطاعته، فهؤلاء آمنون في جنان الله في الآخرة، وصنف الكافرين المكذبين بما أنزل الله في كتبه، والجاحدين لرسالات الأنبياء، فهؤلاء مخلدون في نار جهنم([1]).

الإعراب:

(وَقُلْنا): الواو: حرف عطف و(قلنا) فعل ماضي مبني على السكون و(نا): فاعل، (يا آدَمُ): يا: حرف نداء للمتوسط، و(آدم): منادى مفرد علم مبني على الضم في محل نصب، (اسْكُنْ): فعل أمر وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت: (أَنْتَ): تأكيد للفاعل المستتر في اسكن، (وَزَوْجُكَ): (الواو): حرف عطف و(زوجك): معطوف على الضمير المستكن في اسكن وحسن عطف الظاهر على الضمير توكيده بالضمير المنفصل، (الْجَنَّةَ) مفعول به منصوب، (وَكُلا): (الواو): حرف عطف و(كلا): فعل أمر مبني على حذف النون لأن مضارعه من الأفعال الخمسة والألف ضمير متصل في محل رفع فاعل، (مِنْها): من: حرف جر، والهاء: ضمير متصل في محل جر

---

[1]) التفسير المنير، الزحيلي: ١/١٣٨، ١٣٩.

متعلق بـ(كلا)، (رَغَداً) صفة لمصدر محذوف أي أكلا رغدا فهو مفعول مطلق ويجوز أن يعرب حالا مؤوّلة بالمشتق أي راغدين هانئين، (حَيْثُ) ظرف مكان مبني على الضم متعلق ب(كلا) وقد أطلق لهما الأكل والرغد في الجنة حتى يقطع عليهما منافذ العذر إذا خطرت لهما شجرة واحدة معينة وفي أشجار الجنة الكثيرة مندوحة عنها (شِئْتُما) الجملة الفعلية في محل جر بإضافة ظرف المكان إليها، (وَلا تَقْرَبا) الواو: حرف عطف و(لا): ناهية، و(تقربا): فعل مضارع مجزوم ب(لا) وعلامة جزمه حذف النون، و(الألف): فاعل (هذِهِ) اسم إشارة في محل نصب مفعول به، (الشَّجَرَةَ) بدل من اسم الإشارة، (فَتَكُونا) الفاء: فاء السببية، و(تكونا): فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية، و(الألف): ضمير متصل في محل رفع اسم تكونا، (مِنَ الظَّالِمِينَ) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر تكونا.

المرتبة الثالثة: نداء الكرامة والتشريف والتعظيم([1])

نداء خاص بخاتم النبيين والصديقين قد يراد به تشريعاً عاما وقد يراد به تشريعاً خاصاً وقد يكون بالعكس حسب القرينة الواردة في ذلك النص أو الآية، فإن كان تشريعاً عاماً ورد بصفة الرسالة:﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ {المائدة:٦٧}، وإن كان تشريعاً خاصاً ورد بصفة النبوة في موضع واحد:﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ {التحريم:١} وقد يعبر ب(النبي) في مقام التشريع العام، لكن مع قرينة إرادة العموم في قوله تعالى﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً﴾{الطلاق:١}، ولم يقل: طلقت، وقد ينادى الرسول(ﷺ) بصفات أخرى (يا أيها المدثر، يأيها المزمل)، وإذا أراد

---

[1]) ينظر: الإتقان في علوم القرآن:٣/١١١.

الله بالخطاب المؤمنين لاطف نبيه بقوله:"يا أيها النبي"، وإذا كان الخطاب باللفظ والمعنى جميعا قال: "يا أيها الرسول"([1]).

فمن خصائصه وبرِّ الله تعالى به أن الله تعالى خاطب جميعَ الأنبياء بأسمائهم ولم يخاطبه في القرآن إلا بالنبي أو الرسول ودعا سائر الأنبياء بأسمائهم وحين دعا الأعراب نبينا باسمه أو كنيته نهاهم عن ذلك وقال:﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاء بَعْضِكُم بَعْضاً قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذاً فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ {النور٦٣}، وأمَرهم بتعظيمه وبتفخيمه كما في قوله سبحانه:﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ {الفتح: ٩} ونَهاهم عن التقديم بين يديه في قوله عز وجل:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ {الحجرات:١} وعن رفع أصواتهم فوق صوته، وذلك بقوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾{الحجرات:٢} وفي الآية نهي عن الجهر له بالقول كجهر بعضهم لبعض قال:﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾{الحجرات:٢}، وبيَّن تعالى عاقبةَ من لم يَنْتَه، قال:﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾، وعاب من ناداه من وراء الحجرات في قوله تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاء الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾{الحجرات:٤}، نزلت هذه الآية الكريمة في ناس من الأعراب،الذين وصفهم الله بالجفاء ، وأنهم أجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله، قدموا وافدين على رسول الله، فوجدوه في بيته وحجرات نسائه، فلم يصبروا ويتأدبوا حتى يخرج إليهم ، بل نادوه : يا محمد.. يا محمد ! أي : اخرج إلينا. فذمهم الله بعدم العقل، حيث لم يعقلوا عن الله الأدب مع رسوله واحترامه ، كما أن من العقل استعمال الأدب، فأدب العبد ، عنوان عقله ، وأن الله مريد به الخير([2]).

---

[1]) البرهان في علوم القرآن: ٢/٢٣٠،

[2]) تفسير السعدي(تيسير الكريم الرحمن): ١/٧٩٩.

بناءً على ما سبق سنأخذ التشريع الخاص الذي ورد بصفة النبوة في بداية سورة التحريم، لأنها نزلت بسبب خاص ببيت النبوة، روي أن عائشة أم المؤمنين قالت: أن رسول الله كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلاً، فتواطأت مع حفصة، ما إن دخل عليها النبي(ﷺ) فلتقل له إني أجد منك ريح مغافير أكلت مغافير، فدخل على إحداهما النبي: فقالت ذلك له فقال: "لا بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش ولن أعود له" فنزل صدر سورة التحريم([1]).

الإعراب:

(يا): أداة نداء، (أيّ): منادى نكرة مقصودة مبنيّ على الضمّ في محلّ نصب، و (ها): حرف تنبيه، (النبيّ): بدل من أيّ أو عطف بيان له تبعه في الرفع لفظا، و(لم): اللام حرف جر، و(ما): اسم استفهام في محل جر باللام وما الاستفهامية إذا دخل عليها حرف جر حذف ألفها، والجار والمجرور متعلقان ب(تحرم)، و(ما): مفعول به وجملة (أحلّ الله): صلة، و(لك): متعلقان ب(أحلّ)، وجملة (تبتغي): حالية من فاعل (تحرم)، و(مرضاة أزواجك): مفعول به، و(الله): لفظ الجلالة مبتدأ، و(غفور): خبر، و(رحيم): خبر ثان.

المرتبة الرابعة: نداء المدح([2])

وهو نداء تكليف وكرامة وتميز، فمعنى كونه (تكليف):أن النداء بالتكليف جاء للذين أمنوا وليس للذين أسلموا؛ لأن التكاليف صعبة وشاقة ولا يقدر عليها إلا الذين آمنوا، ولذلك روي عن ابن مسعود قال:"إذا سمعت الله (يقول يأيها الذين آمنوا) فأرعها سمعك ، فإنه خير يأمر به أو شر ينهى عنه"([3])، كما في قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ

---

[1]) صحيح البخاري: ١٥٦/٦ (رقم ٤٩١٢)

[2]) ينظر: معترك الأقران: ١٥/٣، تفسير السمرقندي (بحر العلوم): ٣٣/١.

[3]) سنن سعيد بن منصور: ٢١١/١.

تَتَّقُونَ﴾،{البقرة:١٨٣}، إذ كانت فرضية الصيام في السنة الثانية بعد الهجرة مع أنه ركن من أركان الإسلام الخمسة وكذلك الحج فرض متأخراً بعد الهجرة مع أنهما ركنان من أركان الإسلام لا أركان الإيمان، ومعنى كونه(كرامة): إذا قال الله تعالى(يا أيها الذين آمنوا)، ومعنى كونه (تمييز): تميزاً لهم عن أهل مكة، فكل آية فيها (يا أيها الذين آمنوا) يأتي بعدها الأمر بتفاصيل الشريعة وإن جاء بعدها الأمر بالإيمان كان ذلك من قبيل الاستصحاب في تسعة وثمانون موضعاً، وكل آية فيها (يا أيها الناس) كان خطاباً لأهل مكة ويأتي بعدها الأمر بأصل الإيمان([1]).

والمعنى أن السامع لآية الصيام يعلم أنه منادى بإيمانه بهذا النداء الإلهي، وإنه لشرف له وأي شرف فأصغ بأذنك تسمع، وأحضر جميع أحاسيسك وافهم، ووطن النفس على أن تعمل بما تعلم فإن في ذلك لحاقك بعظماء العباد، فقد روى مالك في الموطأ (أن من علم وعمل بما علم وعلمه غيره دعي في السماء عظيما) هذا النداء الموجه للمؤمنين والمؤمنات يحمل فرضية صيام رمضان، ولما كان في الصوم مشقة؛ لأن ترك المعتاد من الأكل والشرب شاق على النفس، لذا هونه الله تعالى على عباده المؤمنين بقوله:﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أي المؤمنين الأولين أتباع الرسل عليهم السلام.والصيام معناه: الإمساك عن الأكل والشرب والجماع، وذلك من طلوع الفجر إلى غروب الشمس بنية الصيام، وقد بين تعالى شهر الصيام بقوله:﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾{البقرة:١٨٥}، وبينه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله:" بني الإسلام على خمس، شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان"([2])، ومن رحمة الله بعباده المؤمنين أن للمريض والمسافر أن يفطرا ويقضيا ما افطراه يوم الشفاء، والعودة إلى البلد كما أن الحائض

---

[1])ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢٢٩/٢

[2])صحيح البخاري: ١٢/١ (رقم ٨)

والنفساء تفطران وتقضيان بعد الطهارة من الحيض ودم النفاس؛ إذ قال تعالى: {فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ} وأما المريض الذي لا يرجى برؤه، والشيخ الكبير الهرم فإنهما لا يصومان ويطعمان من كل يوم مدا من طعام للفقراء والمساكين.و أن الصيام من أفضل العبادات، وأعظمها أجرا؛ فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم " أن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك" والخلوف رائحة الفم المتغيرة بطول الصيام، وقال صلى الله عليه وسلم: " من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه" ورغب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صيام ستة أيام من شوال، وصيام التاسع والعاشر من شهر المحرم، ويوم التاسع من شهر ذي الحجة وهو يوم عرفة، فقال صلى الله عليه وسلم " صيام عاشوراء يكفر ذنوب سنة، وصيام يوم عرفة يكفر ذنوب سنتين الماضية والآتية " ورغب في صيام ثلاثة أيام من كل شهر وهى الأيام البيض الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر وقال صلى الله عليه وسلم: " إنها كصيام الدهر". كما كان صلى الله عليه وسلم يصوم الاثنين والخميس.

وهذا ما للصوم من فوائد روحية واجتماعية وصحية، ومن الفوائد الروحية أن الصيام يعود على الصبر ويقوى عليه، ويعلم ضبط النفس ويساعد عليه ويوجد في النفس ملكة التقوى.

ومن الفوائد الاجتماعية أنه (يربى) الأمة على النظام والاتحاد وحب العدل والمساواة ويكون في الصائم عاطفة الرحمة وخلق الإحسان، كما يصون المجتمع من الشرور والمفاسد.

ومن الفوائد الصحية أنه يطهر الأمعاء، ويصلح المعدة، وينظف البدن من الفضلات والرواسب، ويخفف من وطأة السمن، وثقل البطن بالشحم. وفى الحديث الحسن "صوموا تصحوا ([1])"([1]).

---

[1]) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، بن حسام الدين الهندي:٨/٢١٠ (رقم ٢٣٦٠٥)

الإعراب:

(يا أَيُّهَا):يا:حرف نداء، و(أي): منادى نكرة مقصودة مبني على الضم في محل نصب، و(الهاء): للتنبيه، (الَّذِينَ): بدل من (أيها)، (آمَنُوا) فعل أمر مبني على حذف النون لاتصاله بواو الجماعة،والواو: ضمير متصل مبني في محل الرفع فاعل،(كُتِبَ): فعل ماض مبني على الفتح وهو مبني للمجهول أي فرض، (عَلَيْكُمُ) الجار والمجرور متعلقان بكتب (الصِّيامُ) نائب فاعل مرفوع بالضمة، (كَما كُتِبَ) تقدم إعرابها، والجار والمجرور صفة لمصدر محذوف أو حال كما اختاره سيبويه (عَلَى الَّذِينَ): الجار والمجرور متعلقان بكتب، (مِنْ قَبْلِكُمْ): الجار والمجرور متعلقان بمحذوف لا محل له لأنه صلة الموصول وجملة النداء وما تلاها مستأنفة مسوقة لبيان مشروعية الصيام، (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ): جملة الرجاء حالية وجملة تتقون خبر لعل.

ومن اللمسات البيانية في هذه الآية لما يخصص كلمة بمعنى معين مثلاً الصلاة خصصها بمعنى واحد وهو العبادة، الصوم والصيام، الصيام خصصها للعبادة في القرآن والصوم خصصها الصمت ولا تجد في القرآن كلمة صوم للعبادة وإنما كلمة صيام (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ (١٨٣) البقرة) بينما الصوم خصصها للصمت (إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا (٢٦) مريم) الصوم عن الكلام. القرآن أحياناً يخصص المفردة بمعنى من معانيها. اللمسة البيانية في هذا التخصيص يدل على القصد في التعبير أنه ليس كلاماً ملقى هكذا لكنه مقصود([٢]).

المرتبة الخامس: نداء الذم([٣])

---

[١]) نداءات الرحمن لأهل الإيمان، أبو بكر الجزائري: ١/١٥-١٧.

[٢])ينظر: لمسات بيانية: ١/١٨٣.

[٣])ينظر: معترك الأقران: ٣/١٥، تفسير السمرقندي (بحر العلوم): ١/٣٣.

نداء إذلال وإهانة لعامة الكافرين من مختلف الأديان ولم يرد هذا الوجه من وجوه النداء في كتاب رب السماء إلا في موضعين نحو:﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ﴾ {التحريم:٧} ، ﴿قُلْ يا أَيُّهَا الكافرون﴾{الكافرون:١}، وكثر الخطاب ب(يا أيها الذين آمنوا) على المواجهة، وفى جانب الكفار جيء بلفظ الغيبة إعراضا عنهم، كقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾{البقرة:٦}، ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾{آل عمران:١٢}.

الإعراب:

(يا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّما تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (يا أَيُّهَا):يا:حرف نداء، و(أي): منادى نكرة مقصودة مبني على الضم في محل نصب، و(الهاء): للتنبيه، (الَّذِينَ): بدل من (أيها)، (كفروا): فعل أمر مبني على حذف النون لاتصاله بواو الجماعة، (الواو): ضمير متصل مبني على الضم في محل الرفع فاعل،(لا): ناهية جازمة،(تعتذروا): فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، و(اليوم): ظرف متعلق ب(تعتذروا)، والجملة مقول قول محذوف أي يقال لهم ذلك عند دخول النار، (إنما) كافّة ومكفوفة، (تجزون): فعل مضارع مبني للمجهول و(الواو) نائب فاعل، و(ما): مفعول به ثان، وجملة (كنتم) صلة ما وجملة (تعملون) خبر كنتم.

المرتبة السادسة: نداء التعنيف([1])

هو نداء تعنيف وتوبيخ لأهل الكتاب عامة سواء كانوا يهوداً أو نصارى، وصيغته(يا أهل الكتاب)، حيث وردت في اثنتا عشرة موضعا في كتاب الله تعالى([2]).

ومثال ما ورد فيه هذا الوجه قوله تعالى:﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ {آل عمران:٧٠}، فهذا تعنيف من الله تعالى لكفرة أهل الكتاب، على عنادهم للحق، وكفرهم بآيات الله، وصدهم عن سبيله من أراده من أهل الإيمان

---

[1])ينظر: نفس المصدر

[2])ينظر: تفسير ابن كثير: ٨٥/٢.

بجهدهم وطاقتهم مع علمهم بأن ما جاء به الرسول حق من الله، بما عندهم من العلم عن الأنبياء الأقدمين، والسادة المرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وما بشروا به ونوهوا، من ذكر النبي(ﷺ) الأمي الهاشمي العربي المكي، سيد ولد آدم، وخاتم الأنبياء، ورسول رب الأرض والسماء. وقد توعدهم الله تعالى على ذلك بأنه شهيد على صنيعهم ذلك بما خالفوا ما بأيديهم عن الأنبياء، ومقاتلتهم الرسول المبشر بالتكذيب والجحود والعناد، وأخبر تعالى أنه ليس بغافل عما يعملون، أي: وسيجزيهم على ذلك يوم لا ينفعهم مال ولا بنون.

(يا):حرف نداء،(أهل الكتاب): منادى مضاف، (ولم):اللام حرف جر، و(ما) اسم استفهام في محل جر باللام وحذفت ألف ما لوقوعها بعد حرف الجر،(تكفرون):فعل مضارع مرفوع بثبوت النون،(الواو):فاعل،والجار والمجرور المتقدم عليه متعلق به،(بآيات الله): جار ومجرور متعلقان ب(تكفرون)، (وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ): الواو حالية، و(أنتم): ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ،(تشهدون): فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، و(الواو) فاعل، والجملة خبر، وجملة (أنتم تشهدون) في محل نصب حال.

المطلب الثالث

نداء الآدميين بعضهم بعضاً في الدنيا والآخرة

نداء مناقشة ومحاورة بين الآدميين يعرض قصة أو واقعة بأسلوب بلاغي أو لغوي للعتاب أو الترقيق أو الاستعطاف أو الاستهزاء والسخرية حسب الواقعة التي تسوق ذلك النداء، ويقسم على ثلاثة مراتب:

المرتبة الأولى: نداء العتاب ليوسف(عليه السلام):

نداء ترقيق وتفخيم واستعطاف السامع بأسلوب الإيجاز بالحذف والحوار والمناقشة لأجل طلب أمر في متناول سلطة المنادى([1])، كنداء أخوت يوسف له في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (٨٨)﴾، فهم جاءوا للبحث عن أخيهم، ولكنَّهم جعلوا المدخل إليه أن يقولوا أنَّهم جاءوا ببضاعة مزجاة، وهنا نجد يوسف الصديق يحِنُّ إلى جمع الشمل بعد إذ تفرَّق، فيقول لهم عاتبًا معتذرًا عنهم إذ فعلوا ما فعلوا جاهلين، يقول الأخ المحب لإخوته: {هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ} وهنا تلهمهم عاطفة الأخوة الحبيبة إلى أنه يوسف، وإن تغيَّرت الأحوال، واختفت سيم الطفولة وبدت سمة الرجولة:﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ، قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾{يوسف:٨٩.٩١}([2]).

الإعراب:

(الفاء): عاطفة، (لمّا): ظرف بمعنى حين متضمّن معنى الشرط في محلّ نصب متعلّق ب (دخلوا) ، (دخلوا): فعل ماض مبنيّ على الضمّ، و(الواو): فاعل، (يا): حرف نداء، و(أيها): منادى نكرة مقصودة والهاء للتنبيه ، (مسّنا) :فعل ماض مبنيّ على الفتح، و(نا): ضمير متصل مبني في محل النصب مفعول به. (الواو): عاطفة، (أهلنا): معطوف على ضمير النصب، و(نا): ضمير مضاف إليه، (الضرّ): فاعل مرفوع، (الواو): عاطفة، (جئنا): فعل ماض وفاعله الضمير (نا)، (ببضاعة): جار ومجرور متعلّق ب (جئنا) ، (مزجاة): نعت لبضاعة مجرور، (الفاء): رابطة لجواب شرط مقدّر، (أوف): فعل أمر مبنيّ على حذف حرف العلّة، والفاعل: أنت، (اللام): حرف جرّ، و(نا): ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (أوف) ، (الكيل): مفعول به

---

[1])ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الزحيلي:٣٠٦/٧.

[2]) ينظر: المعجزة الكبرى القرآن، أبو زهرة: ٣٨٣/١.

منصوب، (الواو): عاطفة، (تصدّق): فعل أمر مبني على السكون، (علينا): جار ومجرور متعلّق ب (تصدّق) ، (إنّ): حرف مشبّه بالفعل، (الله): لفظ الجلالة اسم إنّ منصوب، (يجزي): مضارع مرفوع وعلامة الرفع الضمّة المقدّرة على الياء، والفاعل ضمير مستتر تقديره (هو)، (المتصدّقين) مفعول به منصوب، وعلامة النصب الياء.

وأما اللمسة البيانية في هذه الآية ما الفرق من الناحية البيانية بين (ولمّا) و (فلمّا) في سورة يوسف، هناك سبيل للتمييز بين(لمّا) و(فلمّا) من الناحية التعبيرية فالفاء تدلّ على الترتيب والتعقيب أما الواو فهي لمطلق الجمع. يأتي بالفاء عندما يكون هناك تعقيب﴿قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذاً لَّخَاسِرُونَ {١٤} فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِ وَأَجْمَعُواْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ {١٥}﴾، لا يوجد فاصل زمني بين الأمرين وهذا يدل على التعقيب والترتيب، وكذلك في قصة يوسف مع امرأة العزيز الأحداث تأتي الواحدة تلو الأخرى بترتيب وتعقيب وليس بين الأحداث أي تراخي أو فترة زمنية فاصلة طويلة لذا استخدمت (فلمّا) . أما في الآية التي جاء فيها (ولمّا) استغرق سنوات طويلة حتى بلغ أشدّه﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ {٢٢}﴾، وكذلك لما ذهب إخوة يوسف إليه في مصر استغرق الأمر زمناً حتى سافروا ووصلوا إلى يوسف بعد أن كلّمهم أبوهم﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ {٨٨}﴾([1]).

المرتبة الثانية: نداء التلطف والتحبب والاستعطاف

نداء استعمل مجازاً في طلب حضور الذهن وشد الانتباه لوعي الكلام المسوق له ذلك النداء، كأن يكون في مقام النصيحة والحث على الامتثال بالموعظة، وصيغة ذلك (يا بني، يا أبت، يا ابن أم) فالنداء بالصيغة الأولى فيها إثارة لمشاعر الطفل وشد

[1])لمسات بيانية: ٦٥٢/١.

انتباهه له بأسلوب التلطف والترقيق، وأما الصيغة الثانية فمن الأدب أن لا ينادي الولد أباه وأمه باسميهما، بل يناديهما بما يستدعي الحب والعطف والحنان، وكلا الصيغتين موجودتين في قصة إبراهيم وابنه إسماعيل والفداء بالذبح في قوله تعالى:﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾{الصافات:١٠٢} هذه آية المحنة لإبراهيم بعد محنته بإلقائه في النار، وكل من المحنتين في غاية القسوة واختبار الإيمان بالله تعالى، فلما كبر إسماعيل عليه السّلام قال له أبوه إبراهيم عليه السّلام: يا بني، إني رأيت في المنام أني أذبحك، فما رأيك؟ أخبره بذلك ليستعدّ لتنفيذ أمر الله، ويثاب على انقياده وطاعته لربه، وليعلم صبره لأمر الله. فأجابه إسماعيل قائلا: امض لما أمرك الله من ذبحي، وافعل ما أوحي إليك، سأصبر على القضاء الإلهي، وأحتسب ذلك عند الله عز وجل. والمراد بقوله: فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ السعي على القدم، يريد سعيا متمكنا، أو العمل والعبادة والمعونة. وبدأ تنفيذ أمر الله تعالى، فلما استسلم الأب وابنه لأمر الله وطاعته، وأسلما أنفسهما، أي فوّضا إلى الله في قضائه وقدره وألقى إبراهيم على الأرض ابنه على جنبه وجانب جبهته وهو الجبين، ومعنى وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وضعه بقوة، ونادى الملك إبراهيم من الخلف بعدئذ، قد حصل المقصود من رؤياك، وتحقق المطلوب([1]).

الإعراب:

(فَلَمَّا): الفاء: استئنافية، و(لما): حينية أو رابطة، و(بلغ): فعل ماض وفاعله مستتر تقديره (هو)، والظرف متعلق بمحذوف حال، فإن قلت بم يتعلق معه؟ قلت: لا يخلو إما أن يتعلق ب(بلغ) أو ب(السعي) أو ب(محذوف) فلا يصح تعلقه ب(بلغ)؛ لاقتضائه بلوغهما معا حد السعي ولا بالسعي، لأن صلة المصدر لا تتقدم عليه فبقي

[1]) ينظر:التفسير الوسيط،:١/ ٢١٨١.

أن يكون بيانا كأنه لما قال فلما بلغ السعي أي الحد الذي يقدر فيه على السعي قيل مع من فقال مع أبيه والمعنى في اختصاص الأب انه أرفق الناس به وأعطفهم عليه وغيره ربما عنف به في الاستسعاء فلا يحتمله لأنه لم تستحكم قوته ولم يصلب عوده، (قالَ يا بُنَيَّ إِنِّي أَرى فِي الْمَنامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ ماذا تَرى) جملة(قال): لا محل لها لأنها جواب ل(ما)، و(يا): حرف نداء، و(بني): منادى مضاف لياء المتكلم ثلاث ياءات: ياء التصغير، والأصلية، وياء الإضافة، و(إن): من الأحرف المشبهة بالفعل، واسمها ضمير الشأن محذوف، وجملة (أرى): خبرها، و(في المنام): متعلقان ب(أرى) و(إن) واسمها وجملة (أذبحك): خبرها، و(أن): وما بعدها سدت مسد مفعولي رأى الحلمية، ف(انظر): الفاء: الفصيحة، و(انظر): فعل أمر وفاعله مستتر وجوبا تقديره (أنت) ، و(ماذا ترى): يجوز أن تكون ماذا مركبة استفهامية فتكون منصوبة ب(تري) وما بعدها في محل نصب ب(انظر)؛ لأنها معلقة له، ويجوز أن تكون(ما): استفهامية، و(ذا): موصولة فتكون ماذا مبتدأ وخبرا، والجملة معلقة أيضا وأن تكون (ماذا): بمعنى الذي فتكون معمولا ل(أنظر)، و(ترى): فعل مضارع من الرأي لا من رؤية العين ولا المتعدية إلى مفعولين بل كقولك هو يرى رأي الخوارج.

(قالَ يا أَبَتِ افْعَلْ ما تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ)، جملة (قال): لا محل لها من الإعراب، (يا): حرف نداء، و(أبت): منادى مضاف إلى ياء المتكلم المعوض عنها بالتاء، و(التاء): في محل جر لأن المعوض عنه كذلك، و(افعل): فعل أمر وفاعله مستتر تقديره (أنت)، و(ما): اسم موصول مفعول افعل وجملة تؤمر صلة والعائد محذوف تقديره ما تؤمر به فحذف الجار كما حذف في قولك أمرتك الخير فافعل ما أمرت به، ويجوز أن تكون ما مصدرية أي أمرك على إضافة المصدر للمفعول، و(السين): حرف استقبال، و(تجدني): فعل مضارع مرفوع، و(النون): للوقاية، و(الفاعل): ضمير مستتر تقديره (أنت)، و(الياء): مفعول به، و(من الصابرين): في موضع المفعول الثاني.

أما اللمسة البيانية في هذه الآية دلالة استخدام صيغة الفعل المضارع في قوله تعالى (يا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ) قال تعالى:﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ أولاً رؤية إبراهيم – عليه السلام – كما يُنقل لم يرها مرة واحدة وإنما تكررت ثلاث ليال هذا أمر والأمر الآخر هو أن الفعل المضارع قد يستخدم ليعبّر به عن الماضي في ما نسميه حكاية الحال كما يُعبّر وهو أن يُعبّر عن الحال الماضية بالفعل المضارع للشيء المهم كأن يجعله حاضراً أمام السامع واستحضار الصورة في القرآن كثير وفي غير القرآن فكأن الرؤية التي رآها إبراهيم– عليه السلام– لأهميتها استحضرها فاستخدم الفعل بصيغة المضارع. والأمثلة في القرآن كثيرة منها قوله تعالى:﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾{الكهف:٨} مع أن الأحداث انتهت ومضت([1]).

المرتبة الثالثة: نداء الخصوم في الآخرة:

نداء استعمل للاستفهام بأسلوب التوبيخ والتبكيت والاستهزاء والسخرية، للتيقظ والاعتبار والاجتهاد في الباقيات الصالحات، من ذلك بيان ما يكون بين الفريقين أصحاب الجنة وأصحاب النار من المناظرة والحوار بعد استقرار كل منهما بداره في قوله تعالى:﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً قَالُواْ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾{الأعراف:٤٤}، بعد أن يدخل الله أهل الجنة الجنة ينادون خصومهم من الكفار أهل النار مبكتين ومؤنبين، لقد كان الكفار في الدنيا يخاصمون المؤمنين، و يسخرون منهم، ويهزؤون بهم، وفي ذلك اليوم ينتصر المؤمنون، فإذا بهم وهم في

---

[1]) لمسات بيانية:٩٣٣/١.

النعيم المقيم، ينظرون إلى المجرمين، فيسخرون منهم، ويهزؤون بهم، ﴿إن الأبرار لفي نعيم * على الأرائك ينظرون * تعرف في وجوههم نضرة النعيم * يسقون من رحيق مختوم * ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون * ومزاجه من تسنيم * عيناً يشرب بها المقربون * إن الذين أجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون * وإذا مروا بهم يتغامزون * وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين* وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون * وما أرسلوا عليهم حافظين * فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون * على الأرائك ينظرون * هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون﴾ [المطففين: ٢٢-٣٦] . والظاهر أن هذا النداء من كل أهل الجنة لكل أهل النار لأن الجمع إذا قابل الجمع يوزع الفرد على الفرد. فكل فريق من أهل الجنة ينادى من كان يعرفه من الكفار في دار الدنيا، وفي هذا السؤال من السخرية المرة ما فيه.. إن المؤمنين على ثقة من تحقق وعيد الله كثقتهم من تحقق وعده([1]).

ونلاحظ أن هناك خلافاً بين الأسلوبين مع أن السياق المنطقي واحد؛ فأهل الجنة يقولون: «قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً» ، ولم يأت بالكاف في كلمة ما وعد (الثانية) بل قال: «فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً»؟، إنه قال سبحانه: «ما وعد» فقط، ولم يقل ما وعدكم كما قال: (ما وعدنا) لأن المراد أن يلفتهم إلى مطلق الوعد، وليس الخاص بهم فقط، بل وأيضاً الخاص بالمقابل، وهكذا يتحقق الوعد المطلق لله. فأهل الجنة بإيمانهم وأعمالهم في الجنة فضلاً من الله، وأهل النار بكفرهم وعصيانهم عقاباً من الله. وهذا إقرار منهم بالواقع الذي عاشوه واقعاً بعد أن، كان وعيداً، وهم لم يكابروا لأن المكابرة إنما تحدث بين الخصمين في غير مشهد، وهم في الدنيا قبل أن يوجد المشهد كانوا يكذبون البلاغ عن الله، وصارت الدار الآخرة واقعاً، وتحقق وجودهم في النار. { ... فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ الله عَلَى الظالمين} [الأعراف: ٤٤] أي فينادي مناد من

---

[1]) ينظر: الجنة والنار، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي:١/٢٥١.

الملائكة يُسمع أهلَ الجنَّة وأهل النار بأن الطرد من رحمة الله على الظالمين الذين ظلموا أنفسهم؛ بعدم الإيمان وبالتكذيب باليوم الآخر([1]).

نعم، والله لقد جوزي الكفار بمثل ما كانوا يفعلون، والجزاء من جنس العمل، ويتذكر المؤمن في جنات النعيم ذلك القرين أو الصديق الذي كان يزين له.

الإعراب:

(الواو): استئنافية، (نادى): فعل ماض مبنيّ على الفتح المقدّر على الألف (أصحاب): فاعل مرفوع، (الجنّة): مضاف إليه مجرور، (أصحاب): مفعول به منصوب بالفتحة وهو مضاف، (النار): مضاف إليه مجرور، (أن): مخففة من الثقيلة، فيكون اسمها ضمير الشأن، وجملة قد وجدنا خبرها أو تفسيريّة، (قد): حرف تحقيق، (وجدنا): فعل ماض مبني على السكون، (ونا): فاعل، (ما): اسم موصول مبني في محلّ نصب مفعول به، (وعدنا)، فعل ماض ومفعوله، (ربّ) فاعل مرفوع، و(نا): ضمير مضاف إليه، (حقّا): مفعول به ثان منصوب، (الفاء): عاطفة، (هل): حرف استفهام، (وجدتم): مثل وجدنا (ما وعد ربّكم حقّا) مثل ما وعدنا ربّنا حقا والمفعول الأول محذوف أي وعدكم أو وعدنا، (قالوا): فعل ماض وفاعله، (نعم): حرف جواب، (الفاء): استئنافيّة، (أذّن): فعل ماض، (مؤذّن): فاعل مرفوع، (بين): ظرف مكان منصوب متعلّق ب (أذن)، و(هم): ضمير مضاف إليه (أن): مخفّفة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف أي: أنّه لعنة الله على الظالمين أو تفسيرية، (لعنة): مبتدأ مرفوع، (الله) لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور ، (على الظالمين) جارّ ومجرور متعلّق بمحذوف خبر المبتدأ.

وهكذا تعرض هذه الآية مشهدا من مشاهد المناظرة والمحاورة، بين أصحاب الجنة وأصحاب النار، وكذلك الشأن في آيات أخر في نفس السورة في قوله تعالى :﴿وَنَادَى

---

[1])ينظر: تفسير الشعراوي: ٤١٤٧/٧.

أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُواْ مَا أَغْنَى عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾{الأعراف:٤٨} والثانية :﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَاء أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾{الأعراف:٥٠}.

المطلب الرابع

نداء ما لا يعقل

ويقسم على

المرتبة الأولى: نداء الحيوانات بعضهم بعضاً للتيقظ والتنبيه

نداء وصوت أُجري مجرى لفظٍ للآدميين حين نطقت عما ينطق به الآدميين المخاطبين صادر عن جنس من الحشرات الصغيرة ذَات سِتّ أَرْجُلٍ تَسْكُنُ فِي شُقُوقٍ مِنَ الْأَرْضِ، وَهِيَ أَصْنَافٌ مُتَفَاوِتَةٌ فِي الْحَجْمِ، فاستفتحت خطابها بالنداء الذي يسمعه من خاطبته بعشرة أجناس من الكلام نادت، ونبهت، وسمعت وأمرت ونصت وجددت، وخصت، وعمت، وأشارت وعذرت، أما النداء ف(يا) وأما التنبه ف(يا أيها)، وأما سمعت فقولها (النمل)، وأما أمرت فقولها(أدخلوا) وأما نصت فقولها(مساكنكم)،وأما جددت فقولها (لا يحطمنكم)،و أما خصت فقولها(سليمان)، وأما عمَّت فقولها(وجنوده)، وأما أشارت فقولها(وهم)، وأما عذرت فقولها(لا يشعرون)، وأدت خمس حقوق : حق الله، وحقا له، وحقا لها، وحقا لكم، فحق الله إنها استرعيت على النمل فرعتهم، وأما حقا له فأدت حق سليمان في تنبيهه على حق النمل، وأما حق لها فأنها أسقطت حق الله عنها في تضحيتها لهم، وأما حق لهم فإنها نصحتهم حتى دخلوا مساكنهم، وأما حق لكم فللخلق جميعا في استرعاء من رعاه الله حقه وحفظ ذلك عليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ألا كلكم راع وكلكم مسئول على رعيته". فقد روي أن سليمان . عليه السلام . لم يضحك في عمره إلا مرتين مرة يوم اخذ الضحاك، ومرة حين اشرف على واد النمل، وذلك انه رأى النمل على كبر الثعالب لها خراطيم وأنياب، فقال رئيس النمل للنمل:(ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) فخرج

كبير النمل في عظم الجواميس فلما نظر إليه سليمان هاله فأراه الخاتم فخضع له ثم قال له هذه كلها نمل فقال: إن النمل أكثر من ذلك إنها ثلاثة أصناف صنف من الجبال، وصنف من القرى، وصنف من المدن. فقال سليمان: اعرضها علي، فقال له: قف ثم نادى ملك النمل فأقبلت كراديس وعساكر فبقى سليمان سبعين يوما واقفا تمر هي عليه، فقال: هي انقطعت عساكرهن فقال ملك النمل: لو وقفت إلى يوم القيامة ما انقطعت([1]).

فقال تعالى:(حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ {١٨}) فالنملة بدأت مخاطبة قومها مخاطبة العقلاء وجاءت بلفظ (مساكنكم) ولم تقل بيوتكم أو جحوركم لأنهم في حالة حركة والحركة عكسها السكون فاختارت لفظ المساكن من السكون حتى يسكنوا فيها ولم تقل المساكن والجحور وإنما قالت (مساكنكم) أي أن لكل نملة مسكنها الخاص الذي تعلم مكانه ولم تقل ادخلن وإنما قالت ادخلوا، ثم أكدّت بالنداء بقولها (يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم) حرف النداء الدال على البعد حتى يسمعوا نداءها، وقالت (سليمان وجنوده) ولم تقل "جنود سليمان" حتى ترفع العذر عن سليمان، أيضاً فلو قالت "جنود سليمان" لكان سليمان غير عالم إذا كان قاصداً أو غير قاصد وجاءت بلفظ (سليمان) بدون أي لقب له كالنبي سليمان للدلالة على أنه مشهور بدون أن يوصف، ثم حثتهم على الإسراع في التنفيذ قبل أن تنالهم المصيبة، ونسبت الفعل لسليمان (لا يحطمنكم) وفعل يحطمنكم مقصود في الآية لأنه ثبت علمياً أن جسم النمل يتركب معظمه من كمية كبيرة من السليكون الذي يدخل في صناعة الزجاج والتحطيم هو أنسب الأوصاف للفعل الدالّ على التكسير والتهشيم والشدة. إذن ليس

[1])تفسير السلمي(حقائق التفسير): ٨٦/٢.

المهم جمع أوجه بلاغية في التعبير لكن المهم كيف التعبير عن هذه الأوجه وهذا ما يتفرّد به القرآن الكريم([1]).

الإعراب:

(حَتَّى): حرف غاية لمحذوف تقديره (فساروا حتى إذا أتوا)، ويجوز أن يكون غاية ليوزعون لأنه مضمن معنى فهم يسيرون ممنوعا بعضهم من مفارقة بعض حتى إذا أتوا، و(على وادي النمل): جار ومجرور متعلقان ب(أتوا)، وجملة(قالت نملة): لا محل لها من الإعراب، و(يا): حرف نداء، (أي): منادى مبني على الضم في محل النصب، (النمل): بدل، و(ادخلوا مساكنكم) فعل وفاعل ومفعول به على السعة وسيأتي ما قاله السيوطي في الإتقان عن قول النملة. (لا يَحْطِمَنَّكُمْ):و(لا) ناهية، و(يحطمنكم): فعل مضارع مبني على الفتح في محل جزم ب(لا)، و(الكاف): مفعول به، و(سليمان): فاعل، و(جنوده): عطف على سليمان، (الواو): حالية، و(هم): مبتدأ وجملة (لا يشعرون): خبر والجملة حالية

البلاغة:

الاستعارة التمثيلية([2]): في قوله تعالى قالَتْ نَمْلَةٌ يا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَساكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ. كأنها، لما رأتهم متوجهين إلى الوادي، فرت عنهم، مخافة الهلاك، فتبعها غيرها، وصاحت صيحة تنبهت بها ما بحضرتها من النمل فتبعتها. فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم، ولذلك أجروا مجراهم، حيث جعلت هي قائلة وما عداها من النمل مقولا له، فيكون الكلام خارجا مخرج الاستعارة التمثيلية، ويجوز أن يكون استعارة مكنية.

---

[1]) لمسات بيانية: ٦٨٩/١.

[2]) الاستعارة التمثيلية: هو تركيب استعمل في غير ما وضع له، لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة معناه الوضعي، بحيث يكون كل من المشبه والمشبه به هيأة منتزعة من متعدد – وذلك بأن تشبه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين، أو أمور (بأخرى) ثم تدخل المشبه في الصورة المشبه بها مبالغة في التشبيه. ينظر:جواهر البلاغة:٢٧٥/١،

المرتبة الثانية: نداء الله تعالى للجمادات لإغاثة المظلوم أو للتسبيح

نداء اقترن بكلمة الله العليا التي لا ترد والتي تُكوَّن بها أكوان وتنشأ بها عوالم وتخلق بها نواميس، ويُنشِئُ مدلولها عند قولها كيفما كان ذلك المدلول مألوفاً للبشر أو غير مألوف، تطلق في محل الابتلاء والاختبار لتبطل كل كيد وتحبط كل قول وقول الله تعالى يبرهن على ذلك:﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ {الأنبياء:٦٩}، أي لما حفروا البئر وبنوا الحظيرة وجمعوا الحطب وأوقدوا النار علقوا المنجنيق ووضعوه فيها ورموه إليها قُلْنا حينئذ مخاطبين للنار منادين لها لحفظ خليلنا يا نارُ المجبولة المطبوعة بالإحراق والإهلاك كُونِي بَرْداً (مجاز مرسل) من إطلاق المصدر، وإرادة اسم الفاعل، أي باردة أو ذات برد، واتركي طبع الحرق والحرارة، فقد وجه رب العالمين الأمر إلى النار فأطاعت، أن الجماد بالنسبة إلى الله عاقل ، يصح أن يوجه إليه الخطاب([1]).

واللمسة البيانية والسؤال الذي يدور في الذهن: لماذا جاءت كلمة نار مرفوعة ونكرة في قوله تعالى (قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (٦٩)) ولماذا جاءت برداً وسلاماً وليس سلاماً فقط؟

كلمة نار ليست نكرة (يا نار) في المصطلح الحديث تُسمّى نكرة مقصودة أي معيّنة أما النحاة فيقولون معرفة.

والقاعدة: كل منادى مبني على الضمّ هو معرفة، والمنصوب قد يكون معرفة أو نكرة أو نكرة مقصودة أو نكرة غير مقصودة أو مضاف أو مضاف إلى معرفة.

---

[1]) ينظر: الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، الشيخ علوان: ٥٣٨/١.

والنكرة المقصودة ليست مصطلحاً نحوياً وهو مصطلح جديد لا يوجد في كتب النحو القديمة. نقول يا راكباً نكرة غير مقصودة. إذا قصدنا أحداً نقول له يا رجلُ ويا شرطيُ.

وقاعدة سيبويه: إن كل اسم في النداء مرفوع معرفة وذلك أنه إذا قال يا رجلُ ويا فاسقُ كمعنى يا أيها الرجل ويا أيها الفاسق([1]).

لا يمكن أن تكون الآية (يا ناراً) لأن الله تعالى يخاطب ناراً معينة وهي نار إبراهيم فهي معرفة والمعرفة هي ما دلّ على شيء معيّن. فلا بد أن تكون يا نارُ بالبناء على الضم وهي ليست نكرة وإنما معرفة ويسمونها الآن نكرة مقصودة.

أما قوله تعالى برداً وسلاماً: لو قال برداً وحدها قد يؤذي لأن من البرد ما يؤذي، ولم يقل سلاماً وحدها لأنه قد يشعر بالحرّ الذي يؤذي لكنه لا يتأذى فهي سلام. والله تعالى أراد أن يجمع الاثنين أراد أن لا يشعر إبراهيم – عليه السلام – بالحرارة ولم يرد له أن يتضايق فهي برد وسلام فالبرد معه شيء من السلام والسلام معه شيء من البرد والله تعالى لم يُرد أن يشعر إبراهيم بالحرارة أو السخونة بحيث يتضايق فقد يعيش الإنسان في حرٍّ في بيته لكن لا يوجد سلام فيتضايق. لذا كان لا بد من الأمرين معاً البرد والسلام ولا يمكن أن يستغني عن واحدة منهما([2]).

الإعراب:

(قلنا): فعل وفاعل، (يا): أداة نداء، (نار): منادى نكرة مقصودة مبنيّ على الضمّ في محلّ نصب، (كوني): فعل أمر ناقص مبنيّ على حذف النون، و(الياء): ضمير في محلّ رفع اسم (كن)، (على إبراهيم): متعلّق ب(سلاما) أو متعلّق بمحذوف نعت ل (سلاما)، وعلامة الجرّ الفتحة للعلميّة والعجمة.

---

[1]) كتاب سيبويه:١٩٧/٢

[2]) لمسات بيانية:٩٥٦/١.

ومثل ذلك نداء الله تعالى الجبال فأصغت الذي دلت عَلَيْهِ الْآيَةُ مِنَ الْفَخَامَةِ وَجَلَالَةِ الْخَالِقِ وَعِظَمِ شَأْنِ دَاوُدَ مَعَ وَفْرَةِ الْمَعَانِي وَإِيجَازِ الْأَلْفَاظِ وَإِفَادَةِ مَعْنَى الْمَعِيَّةِ بِالْوَاوِ دُونَ مَا لَوْ كَانَتْ حَرْفَ عَطْفٍ في قوله تعالى:﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾{سبأ:١٠}، الله جل وعلا يجعل عند غير العاقل إرادة فيسبح حسب ما أراده الله جل وعلا، و هذا التسبيح بلسان الحال، بمعنى أن من رآها دلته على وجود الله، فيسبح الله، نعم، هذا موجود في المخلوقات، فإن العاقل إذا نظر إلى الجبال أو إلى الأشجار والنبات والحيوانات دله ذلك على أن لها خالقاً يستحق أن يسبح ويحمد ويعبد، وهو الله وحده وتسبيح الجبال لا يختص بوقت داود، بل هو مستمر قبل داود وبعده، والآية تصور من فضل الله على داود- عليه السّلام- أنه قد بلغ من الشفافية والتجرد في تسابيحه أن انزاحت الحجب بينه وبين الكائنات فاتصلت حقيقتها بحقيقته، في تسبيح بارئها وبارئه ورجّعت معه الجبال والطير، إذ لم يعد بين وجوده ووجودها فاصل ولا حاجز، حين اتصلت كلها بالله صلة واحدة مباشرة تنزاح معها الفوارق بين نوع من خلق الله ونوع، وبين كائن من خلق الله وكائن وترتد كلها إلى حقيقتها اللدنية الواحدة، التي كانت تغشى عليها الفواصل والفوارق فإذا هي تتجاوب في تسبيحها للخالق، وتتلاقى في نعمة واحدة، وهي درجة من الإشراق والصفاء والتجرد لا يبلغها أحد إلا بفضل من الله، يزيح عنه حجاب كيانه المادي، ويرده إلى كينونته اللدنية التي يلتقي فيها بهذا الوجود، وكل ما فيه وكل من فيه بلا حواجز ولا سدود([1])،واختيار الجبال، والطير، من بين الكائنات كلها، إنما- والله أعلم- لأن الجبال أبرز وجوه الأرض، فهي أشبه بالسلطان القائم عليها، والطيور هي ملوك السماء، وأبرز ما يحلّق في أجوائها من ذوات الأجنحة، كالذباب، والبعوض، وغيره([2]).

---

[1]) ينظر: في ظلال القرآن: سيد قطب: ٢٨٩٧/٥.

[2])ينظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب:٧٨٥/١١.

وليُستمع إلى قوله سبحانه: { وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء، وقضي الأمر، واستوت على الجود وقيل بعداً للقوم الظالمين } (هود/٤٤) ثم فليُنظر إلى الآية كيف حوت: أمرين، وخبرين، وبشارة، ودعاء، هذا التلون في نحت الألفاظ وفي بناء العبارة وفي إيقاع الكلمات مع المعاني والمشاعر.. يبلغ في القرآن الذروة ويأتي دائما منسابا لا تكلف فيه ولا تعمل، ويوجه الله تعالى الخطاب إلى الأرض وإلى السماء بصيغة العاقل، فتستجيب كلتاهما للأمر الفاصل فتبلع الأرض، وتكف السماء، فقَدَّمَ أَمْرَ الْأَرْضِ عَلَى أَمْرِ السَّمَاءِ وَابْتُدِئَ بِهِ لِابْتِدَاءِ الطُّوفَانِ مِنْهَا، وَنُزُولِهَا لِذَلِكَ فِي الْقِصَّةِ مَنْزِلَةَ الْأَصْلِ، وَالْأَصْلُ بِالتَّقْدِيمِ أَوْلَى، ثُمَّ أَتْبَعَهَا قَوْلُهُ: وَغِيضَ الْمَاءُ لِاتِّصَالِهِ بِغَيْضِيَّةِ الْمَاءِ وَأَخْذِهِ بِحُجْزَتِهَا، أَلَا تَرَى أَصْلَ الْكَلَامِ: قِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ فَبَلَعَتْ مَاءَهَا وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي عَنْ إِرْسَالِ الْمَاءِ فَأَقْلَعَتْ عَنْ إِرْسَالِهِ، وَغِيضَ الْمَاءُ النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ فَغَاضَ، ثُمَّ أَتْبَعَهُ مَا هُوَ الْمَقْصُودُ مِنَ الْقِصَّةِ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: وَقُضِيَ الْأَمْرُ أَيْ أُنْجِزَ الْمَوْعُودُ.. ثُمَّ أَتْبَعَهُ حَدِيثُ السَّفِينَةِ وَهُوَ قَوْلُهُ: وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ، ثُمَّ خُتِمَتِ الْقِصَّةُ بِمَا خُتِمَتْ ([1])...

هذه الآية الكريمة تصور لنا في إيجاز نهاية قصة الطوفان في عهد نوح عليه السلام، فقد اشتملت على الألوان البديعية الآتية([2]):

(أ) المناسبة اللفظية التامة، بين(أقلعي)و(ابلعي)، فقد جمع بين اللفظين وهما هنا موزونان مقفيان بزنة وقافية واحدة وهذا هو معنى المناسبة التامة.

(ب) المطابقة([3]): بين(السماء)و(الأرض) في قوله تعالى: (يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي).

(ج) الاستعارة([1]): في قوله تعالى: (أقلعي)و(ابلعي).

---

[1])ينظر: المصدر السابق:٦/١١٤١.

[2]) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم إبراهيم محمد ألمطعني:٢/٤٦٥ .

[3]) المطابقة هو الجمع بين لفظين متقابلين في المعنى، ينظر:جواهر البلاغة:١/٣٠٣.

(د) المجاز المرسل([2]): في قوله تعالى:(يا سماء) والحقيقة: يا مطر السماء والعلاقة: المجاورة.

(هـ) الإشارة: وهي أن يدل اللفظ القليل على المعنى الكثير بحيث يكون اللفظ لمحة دالة. وذلك في قوله تعالى: (غيض الماء)؛ لأن الماء لا يغيض حتى يقلع مطر السماء وتبلع الأرض ما يخرج منها من عيون الماء، فدل هذا التركيب القليل: (وغيض الماء) على أن كل ذلك قد حدث.

(و) الإرداف([3]): في قوله تعالى: (واستوت على الجوديِّ).

(ز) التمثيل([4]): (وقُضِى الأمر).

(ح) التعليل([5]): لأن " غِيضَ الماء " عِلَّة الاستواء.

(ط) صحة التقسيم: حيث استوعب – سبحانه – حالة الماء حين نقصه.

(ى) الاحتراس([1]): من توهم متوهم أن الماء قد عم مَن لا يستحق الهلاك وقد تحقق الاحتراس(بالدعاء على الهالكين).

---

[1]) الاستعارة استعمال لفظ المشبه به في المشبه بقرينة صارفة عن الحقيقة، ينظر: علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع»، أحمد بن مصطفى المراغي:١/٢٥٩.

[2]) المجاز المرسل: هو الكلمة المستعملة قصداً في غير معناها الأصلي لملاحظة علاقة غير (المشابهة) مع قرينة دالّة على عدم إرادة المعنى الوضعي.جواهر البلاغة:١/٢٥٤.

[3]) الإرداف: هُوَ عبارَة عَن تَبْدِيل كلمة بردفها من غير انْتِقَال من لَازم إِلَى ملزوم.الكليات:١/٧٩.

[4]) والتمثيل أَيْضا: أَن يُرِيد الْمُتَكَلّم معنى فَلَا يدل عَلَيْهِ بِلَفْظِهِ الْمَوْضُوع لَهُ وَلَا بِلَفْظ قريب مِنْهُ، وَإِنَّمَا يَأْتِي بِلَفْظ هُوَ أبعد من لفظ الإرداف يَصح أَن يكون مِثَالا للفظ الْمَعْنى المرادف، المصدر السابق:١/٢٩٥.

[5]) التَّعْلِيل: هُوَ أَن يدعى لوصف عِلّة مُنَاسبَة. المصدر السابق:١/٤١٠.

(ك) الانفصال: لأن لقائل أن يقول: إن لفظة " القوم " يستغنى عنها للمعنى إذ لو قيل: " وقيل بُعداً للظالمين " لتم الكلام.

(ل) المساواة: لأن لفظ الآية لا يزيد على معناه ولا ينقص عنه.

(م) حسن النسق([٢]): في عطف القضايا بعضها على بعض حسبما وقعت الأول فالأول.

(ن) ائتلاف اللفظ مع المعنى: لكون كل لفظة لا يصلح غيرها مكانها.

(س) الإيجاز: لأن الله اقتص قصة السفينة بلفظها مستوعبة في أخصر عبارة بألفاظ غير مطولة.

(ع) التسهيم([٣]): لأن من أول الآية إلى قوله تعالى: (أقلعي) يقتضي آخرها، والتسهيم أن يكون في أول الكلام ما يدل على آخره لأنها تقتضيه.

(ف) التهذيب([٤]): لأن مفردات الألفاظ موصوفة بصفات الحسن كل لفظة سهلة مخارج الحروف عليها رونق الفصاحة.

(ص) حسن البيان لأن السامع لا يتوقف في فهم معنى هذا الكلام لوضوحه، وصفائه.

---

[١]) الاحتراس: هُوَ أَن يُؤْتى فِي كَلَام يُوهم خلاف الْمَقْصُود بِمَا يدْفع ذَلِك الْوَهم.المصدر السابق:١/٥٥.

[٢]) حسن النسق: هُوَ أَن يَأْتِي الْمُتَكَلّم بِكَلِمَات متتالية معطوفات تلاحما سليما مستحسنا بِحَيْثُ إِذا أفردت كل جملَة مِنْهُ قَامَت بِنَفسِهَا واستقل مَعْنَاهَا بلفظها. الكليات:١/٤١٠.

[٣]) التسهيم: هُوَ أَن يتَقَدَّم من الْكَلَام مَا يدل على أَن الْمُتَأَخر مِنْهُ تَارَة بِالْمَعْنَى وطورا بِاللَّفْظِ، المصدر السابق:١/٣٠١.

[٤]) التَّهْذِيب: هُوَ عبارَة عَن ترداد النّظر فِي الْكَلَام بعد عمله والشروع فِي تنقيحه نظما كَانَ أَو نثرا، وتغيير مَا يجب تَغْيِيره، وَحذف مَا يَنْبَغِي حذفه، وَإِصْلَاح مَا يتَعَيَّن إِصْلَاحه، وكشف مَا يشكل من غريبة، وَإِعْرَابه، وتحرير مَا يدق من مَعَانِيه، وإطراح مَاتجافى عَن مضاجع الرقة من غليظ أَلْفَاظه لتشرق شموس الْهدى فِي سَمَاء البلاغة، المصدر السابق:١/٣٠٩.

(ق) التمكين([1]): لأن الفاصلة مستقرة في قرارها. مطمئنة في مكانها غير قلقة ولا مستكرهة.

(ر) الانسجام([2]):هو تحدر الكلام بسهولة وعذوبة سبك.

(ش) الإبداع([3]): وهو في مجموع الآية. هذا خلاصة ما ذكره ابن أبى الإصبع في بديع هذه الآية.ولنا عليها ملاحظة هامة. .ذلك أنه وصف الآية بالمساواة وجعل المساواة فناً من فنون البديع كما جعل الاستعارة كذلك.ثم عاد ووصف الآية بالإيجاز، والإيجاز والمساواة ضدان لا يجتمعان، فإما أن يكون الكلام مساوياً أو غير مساو بأن يكون موجزاً أو مطنباً، أما أن يوصف كلام واحد بعينه بأنه مساو مرة وموجز مرة أخرى فهذا شيء غير مفهوم على الإطلاق، ونحن – إذا جاريناه على أن الإيجاز من فنون البديع – فإن الآية موصوفة به لا بالمساواة إذ هي قد اشتملت على نوعى الإيجاز:ففيها إيجاز الحذف. ويكفي في تصور ذلك أن في الآية قد بنى الفعل للمفعول في عدة مواضع: (قيل يا أرض)و(غيض)و(قضى) الأمر، (وقيل بعداً).

كما طوى ذكر السفينة وأضمر فاعل الفعل(استوت)، وحذف معمول(أقلعي)، وهذا موسوم بإيجاز الحذف.

---

[1])التَّمْكِين، هُوَ أَن يمهد الناثر بسجعه فقرة أَو النَّاظِم لبيته قافية حَتَّى تَأتي متمكنة فِي مَكَانهَا مطمئنة فِيهِ مُسْتَقِرَّة فِي قَرَارهَا، غير نافرة وَلَا قلقة وَلَا مستدعاة بِمَا لَيْسَ لَهُ تعلق بِلَفْظ الْبَيْت وَمَعْنَاهُ بِحَيْثُ لَو طرحت من الْبَيْت نقص مَعْنَاهُ واضطرب مَفْهُومه، بل يكون بِحَيْثُ إِن منشد الْبَيْت إِذا سكت دون القافية كملها السَّامع بطباعه بِدلَالَة من اللَّفْظ عَلَيْهَا وَقد جَاءَ من ذَلِك فِي فواصل الْقُرْآن كل عَجِيبَة باهرة، المصدر السابق:١/٣٠٢.

[2]) الانسجام: هُوَ أَن يكون الْكَلَام لخلوه من العقادة متحدرا كتحدر المَاء المنسجم لسهولته وعذوبة أَلْفَاظه وَعدم تكلفه ليَكُون لَهُ فِي الْقُلُوب موقع وَفِي النُّفُوس تَأْثِير؛ من ذَلِك مَا وَقع فِي أَثْنَاء آيَات التَّنْزِيل مَوْزُونا بِغَيْر قصد،المصدر السابق:١/١٩٦.

[3]) الإبداع: هُوَ إِخْرَاج مَا فِي الْإِمْكَان والعدم إِلَى الْوُجُوب والوجود،المصدر السابق:١/٢٩.

وفيها إيجاز قصر؛ لأن بعض ألفاظها قد حوى كثيراً من المعاني مثل: (غيض الماء)و(قضى الأمر).وبهذا يظهر خلط ابن أبى الإصبع في عَدِّ الآية من باب المساواة مرة والإيجاز مرة أخرى.وكيف ساغ له ذلك وهو البلاغي الضليع والناقد الأديب؟لا أرى سبباً وراء ذلك إلا ولوعه بألوان البديع وكثرة محصوله منها.

المرتبة الثالثة: نداء الآدميين لما لا يعقل

نداء حسرة وويل وأسف قُصِدَ به الندم أو التعجب أو الاستغاثة، بتنزيل المنادى منزلة الْعَاقِلِ الَّذِي يُطْلَبُ حُضُورُهُ لِأَنَّ الْحَاجَةَ تَدْعُو إِلَيْهِ فِي حَالَةِ النَّدَامَةِ([1]).

وَالْحَسْرَةُ: النَّدَمُ الشَّدِيدُ، وَهُوَ التَّلَهُّفُ، وَهِيَ فَعْلَةٌ مِنْ حَسِرَ يَحْسَرُ حَسَرًا، مِنْ بَابِ فَرِحَ، وَيُقَالُ: تَحَسَّرَ تَحَسُّرًا. كالحزن في التفريط بطاعة الله في قوله تعالى:﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى علَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾ {الزمر:٥٦}، وَحَرْفُ (يَا) فِي قَوْله: يَا حَسْرَتى اسْتِعَارَةٌ مَكْنِيَّةٌ بِتَشْبِيهِ الْحَسْرَةِ بِالْعَاقِلِ الَّذِي يُنَادَى لِيُقْبِلَ، أَيْ هَذَا وَقْتُكِ فَاحْضُرِي، وَالنِّدَاءُ مِنْ رَوَادِفِ الْمُشَبَّهِ بِهِ الْمَحْذُوفِ، أَيْ يَا حَسْرَتِي احْضُرِي فَأَنَا مُحْتَاجٌ إِلَيْكِ، أَيْ إِلَى التَّحَسُّرِ، وَشَاعَ ذَلِكَ فِي كَلَامِهِمْ حَتَّى صَارَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ كَالْمَثَلِ لِشِدَّةِ التَّحَسُّرِ.

وَالتَّفْرِيطُ: التَّضْيِيعُ وَالتَّقْصِيرُ، يُقَالُ: فَرَطَهُ. وَالْأَكْثَرُ أَنْ يُقَالَ: فَرَّطَ فِيهِ. وَ (مَا) فِي (مَا فَرَّطْتُ) صدرية، أَيْ عَلَى تَفْرِيطِي فِي جَنْبِ اللَّهِ.

وَالْجَنْبُ وَالْجَانِبُ مُتَرَادِفَانِ، وَهُوَ نَاحِيَةُ الشَّيْءِ وَمَكَانُهُ وَمِنْهُ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ [النِّسَاء: ٣٦] أَيِ الصَّاحِبُ الْمُجَاوِرُ.وَحَرْفُ فِي هُنَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لِتَعْدِيَةِ فِعْلِ فَرَّطْتُ فَلَا يَكُونُ لِلْفِعْلِ مَفْعُولٌ وَيَكُونُ الْمُفَرَّطُ فِيهِ هُوَ جَنْبُ اللَّهِ، أَيْ جِهَتُهُ وَيَكُونُ الْجَنْبُ مُسْتَعَارًا لِلشَّأْنِ وَالْحَقِّ، أَيْ شَأْنِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ وَوَصَايَاهُ تَشْبِيهًا لَهَا بِمَكَانِ السَّيِّدِ وَحِمَاهُ إِذَا أُهْمِلَ حَتَّى اعْتُدِيَ عَلَيْهِ أَوْ أَقْفَرَ. وأصل الجنب والجانب: الجهة المحسوسة

[1])ينظر: التحرير والتنوير:١٣/١٩.

للشيء، وأطلق على الطاعة على سبيل المجاز، حيث شبهت بالجهة. بجامع تعلق كل منهما- أي الجانب والطاعة- بصاحبه. إذ الطاعة لها تعلق بالله- تعالى-. كما أن الجهة لها تعلق بصاحبها يا حَسْرَةً الحسرة: أن يلحق الإنسان من الندم ما به يصير حسيرا.

وَجُمْلَةُ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ خَبَرٌ مُسْتَعْمَلٌ فِي إِنْشَاءِ النَّدَامَةِ عَلَى مَا فَاتَهَا مِنْ قَبُولِ مَا جَاءَهَا بِهِ الرَّسُولُ مِنَ الْهُدَى فَكَانَتْ تَسْخَرُ مِنْهُ، وَالْجُمْلَةُ حَالٌ مِنْ فَاعِلِ فَرَّطْتُ، أَيْ فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ تَفْرِيطَ السَّاخِرِ لَا تَفْرِيطَ الْغَافِلِ، وَهَذَا إِقْرَارٌ بِصُورَةِ التَّفْرِيطِ([1]).

الإعراب:

(أن): حرف مصدريّ ونصب، والمصدر المؤوّل (أن تقول) في محلّ نصب مفعول لأجله بحذف مضاف عامله أنيبوا أي:كراهة أن تقول نفس.. أو عامله مقدّر أي أنذرناكم، و(نفس): فاعل تقول، (يا): أداة نداء وتحسّر، (حسرتى): منادى متحسّر به مضاف منصوب، وعلامة النصب الفتحة المقدّرة على ما قبل الألف المنقلبة عن (الياء) ، وهي مضاف إليه.. و(على ما فرطت) أي على تفريطي ف(ما): مصدرية والمصدر المؤول مجرور ب(على)، والجار والمجرور متعلقان ب(حسرتا)، و(في جنب الله): متعلقان ب(فرطت).

(وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ..): (الواو): للحال، و(إن): مخففة من الثقيلة أي والحال أني وكان واسمها واللام الفارقة ومن الساخرين خبر كنت ومحل الجملة نصب على الحال.

البلاغة:

١_ التنكير: في قوله تعالى «أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ»،ونكرّت «نفس» لأن المراد بها بعض الأنفس، وهي نفس الكافر، ويجوز أن يراد نفس متميزة من الأنفس، إما بلجاج في الكفر شديد، أو بعذاب عظيم، ويجوز أن يراد التكثير

---

[1])ينظر:التحرير والتنوير:٢٤/٤٥-٤٧.

٢_ الكناية([1]): في قوله تعالى «عَلى ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ»،أصل الجنب الجارحة، ثم يستعار للناحية والجهة التي تليها، كعادتهم في استعارة سائر الجوارح لذلك، نحو اليمين والشمال، والمراد هاهنا الجهة مجازا.والتفريط في جهة الطاعة، كناية عن التفريط في الطاعة نفسها، لأن من ضيع جهة ضيع ما فيها بطريق الأولى الأبلغ لكونه بطريق برهاني، يعني أنه مختص بهذه الصفات لا توجد في غيره، ولا خيمة هناك، ولا ضرب أصلا.

والويل: كلمة تحسر وتلهف، وَالْوَيْلَةُ: الْحَادِثَةُ الْفَظِيعَةُ وَالْفَضِيحَةُ.

(يا ويلتى): يكون لها معنيان في الاستعمال([2]): المعنى الأول: هو الهلاك، والتَحَسُّرٌ بِطَرِيقِ نِدَاءِ الْوَيْلِ وسُوءُ الْحَالِ.

ولما كانت قصة هابيل وقابيل أول جريمة قتل ترتكب على ظهر الأرض، فإن هذا القاتل الأثيم لم يعرف كيف يتخلص من جثمان أخيه، فشاءت حكمة الله أن يكون تلميذاً للغراب، حيث يتعلم منه سنة الدفن ومواراة جسد الميت في التراب، فكان ما قصه الله بقوله: {فَبَعَثَ اللهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ} .وقول هذا الأخ القاتل: {يَا وَيْلَتَى} يدل على شدة تحسره وتألمه، لأن هذه الكلمة لا تقال إلا عند حلول الدواهي العظام، والمصائب الكبار، ولكن هذا التحسر لم يكن ندماً وتوبة وخوفاً من الله، ولكنه كان لإحساسه لأنه صار دون الغراب علماً وتصرفاً، ولو كان ندمه ندم توبة لقبل الله توبته، ولكن الله أخبر عنه أن صار بعمله هذا من جملة الخاسرين، وكذلك دلت السنة المطهرة على أنه سيحمل كفلاً من دم كل نفس تقتل ظلماً وعدواناً، لأنه أول من سن القتل، فدل ذلك كله على عدم توبته.وإذاً فتحسر هذا

---

[1]) الْكِنَايَة: مَا دلّ على معنى النِّسْبَة يجوز حمله على جَانِبي الْحَقِيقَة وَالْمجَاز بِوَصْف جَامع بَينهمَا، وَيكون فِي الْمُفْرد والمركب،الكليات:١/٧٦٣.

[2])ينظر: تفسير الشعراوي: ١١/٦٥٦٢.

الأخ وندمه إنما كانا لعدم انتفاعه بقتل أخيه، وإحساسه بأنه صار دون الغراب علماً وتصرفاً كما أسلفنا.

الإعراب:

(الفاء): عاطفة، (بعث): فعل ماض، (الله): لفظ الجلالة فاعل مرفوع، (غرابا): مفعول به منصوب، (يبحث): مضارع مرفوع، والفاعل ضمير مستتر تقديره(هو)، (في الأرض): جارّ ومجرور متعلّق ب (يبحث)، (اللام): لام التعليل، (يري): مضارع منصوب وعلامة النصب الفتحة، والفاعل ضمير مستتر تقديره (هو) أي الغراب، و(الهاء): ضمير مفعول به، (كيف): اسم استفهام مبني في محلّ نصب حال عامله يواري، (يواري) مضارع مرفوع وعلامة الرفع الضمّة المقدّرة على الياء، والفاعل (هو) وهو صاحب الحال، (سوءة) مفعول به منصوب، (أخيه) مضاف إليه وكذلك الضمير.

(قال)فعل ماضي، والفاعل (هو)، (يا): أداة نداء وتحسّر، (ويلتا): منادى متحسّر به مضاف منصوب وعلامة النصب الفتحة المقدّرة على التاء منع من ظهورها اشتغال المحلّ بالحركة المناسبة، (الألف): المنقلبة عن الياء ضمير مضاف إليه، (الهمزة): للاستفهام التعجّبيّ، (عجزت): فعل ماض مبني على السكون. و(التاء): ضمير فاعل، (أن): حرف مصدريّ ونصب، (أكون) مضارع ناقص منصوب، واسمه ضمير مستتر تقديره(أنا)، (مثل): خبر أكون منصوب، (ها): حرف تنبيه، (ذا): اسم إشارة مبني في محلّ جرّ مضاف إليه، (الغراب): بدل من ذا تبعه في الجرّ.

والمصدر المؤوّل (أن أكون) في محلّ جرّ بحرف جرّ محذوف تقديره (عن أن أكون).. متعلّق ب (عجزت)، (الفاء): عاطفة (أواري) مضارع منصوب معطوف على أكون، والفاعل ضمير مستتر تقديره(أنا)، (سوءة أخي) مثل سوءة أخيه، وعلامة جرّ أخي الكسرة المقدّرة على ما قبل الياء، (الفاء): استئنافيّة، (أصبح): فعل ماض ناقص، واسمه ضمير مستتر تقديره هو، (من الخاسرين): جارّ ومجرور متعلّق بخبر أصبح وعلامة الجرّ الياء

والمعنى الثاني:فِي مَقَامِ التَّعَجُّبِ، من أمر لا تعطيه الأسباب، وهناك فرق بين عطاء الأسباب وبين عطاء المُسبّب. فلو ظل عطاء الأسباب هو المُتحكّم في نواميس الكون، لكان معنى هذا أن الحق سبحانه قد زاول سلطانه في مُلْكه مرة واحدة، وكأنه خلق الأسباب والنواميس وتركها تتحكم ونقول: لا. فبطلاقة القدرة خلقت الأسباب، وهي تأتي لتثبيت ذاتية القدرة وقيّوميّتها، فيقول الحق حينما يشاء: توقفي يا أسباب.إذن فهناك أسباب وهناك مُسبّب. والأمر العجيب لا تعطيه الأسباب. وحين لا يعطى السبب يتعجب الإنسان، ولذلك يَرُدّ الأمر إلى الأصل الذي لا يتعجب منه.

وها هي امرأة إبراهيم التي قالت:﴿يا ويلتى أَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ وهذا بَعْلِي شَيْخاً﴾ {هود: ٧٢}. فعندما كانت امرأته قائمة على خدمة الضيوف، وسمعت كلام الملائكة اطمأنت على أنه لا عذاب على قومهم، وتحققت فراستها فضحكت فزادها الله سروراً، وبشَّرتها الملائكة بإسحق، ومن وراء إسحق يعقوب.فبعد دفع العذاب، وبيان أمر العذاب لقوم آخرين مجرمين، وها هنا تأتي البشارة بتحقيق ما كان إبراهيم عليه السلام وزوجه يصبوان إليه، وإن كان أوانها قد فات؛ لأن زوجة إبراهيم كانت قد بلغت التسعين من عمرها، وبلغ هو المائة والعشرين عاماً، والشيء العجيب هو الذي يخالف نواميس الكون المعتادة، ولكن هناك فرقاً بين النواميس وخالق النواميس، الذي هو قادر على أن يخرق النواميس.وتسمية الزوج بعلاً فيها دقة شديدة؛ لأن البعل هو الذي يقوم بأمر المبعول ولا يحوجه لأحد، كذلك الزوج يقوم بأمر زوجته فيما لا يستطيع أبوها ولا أخوها أن يقوما به، وهو الإحساس بالأنوثة والإخصاب، وهو أهم ما تطلبه المرأة.

(قالت): فعل ماض مبني على الفتح، و(التاء): للتأنيث، والفاعل(هي)، (يا):أداة نداء وتعجّب، (ويلتا): منادى متعجّب به مضاف منصوب وعلامة النصب الفتحة المقدّرة على ما قبل الألف المنقلبة عن ياء منع من ظهورها اشتغال المحلّ بالحركة المناسبة، و(الألف): المنقلبة عن ياء في محلّ جرّ مضاف إليه، (الهمزة): للاستفهام التعجّبيّ، (ألد): مضارع مرفوع، والفاعل(أنا)، (الواو): واو الحال، (أنا): ضمير منفصل مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ، (عجوز): خبر مرفوع، (الواو) عاطفة، (ها): حرف

تنبيه، (ذا): اسم إشارة مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ، (بعلي): خبر مرفوع وعلامة الرفع الضمّة المقدّرة على ما قبل الياء، و(التاء): ضمير مضاف إليه، (شيخا): حال من بعلي، والعامل ما في الإشارة من معنى الفعل، (إنّ): حرف مشبّه بالفعل، (هذا): اسم إشارة في محلّ نصب اسم (إنّ)، (اللام): المزحلقة، (شيء): خبر إنّ مرفوع، (عجيب): نعت لشيء مرفوع.

وَالنِّدَاءُ فِي يَا وَيْلَتى اسْتِعَارَةٌ تَبَعِيَّةٌ بِتَنْزِيلِ الْوَيْلَةِ مَنْزِلَةَ مَنْ يَعْقِلُ حَتَّى تُنَادَى، كَأَنَّهَا تَقُولُ: يَا وَيْلَتِي احْضُرْ هُنَا فَهَذَا مَوْضِعُكَ.

والأسف: وهو أشدّ الحزن والحسرة، على جهة الندبة علامة على المبالغة في الحزن تجلدا من يعقوب عليه السلام إذ كان قد ارتبط إلى الصبر الجميل وقيل قوله:﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفى عَلى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْناهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾{يوسف:٨٤}، و وَتَوَلَّى عَنْهُمْ (وأعرض عنهم كراهة لما جاؤا به)، (يا أسفى):نِدَاءُ الْأَسَفِ مَجَازٌ، نَزَّلَ الْأَسَفَ مَنْزِلَةَ مَنْ يَعْقِلُ فَيَقُولُ لَهُ: احْضُرْ فَهَذَا أَوَانُ حُضُورِكَ، وَأَضَافَ الْأَسَفَ إِلَى ضَمِيرِ نَفْسِهِ لِأَنَّ هَذَا الْأَسَفَ جُزْئِيٌّ مُخْتَصٌّ بِهِ مِنْ بَيْنِ جُزْئِيَّاتِ جِنْسِ الْأَسَفِ.وَالْأَلِفُ عِوَضٌ عَنْ يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ فَإِنَّهَا فِي النِّدَاءِ تُبْدَلُ أَلِفًا.

(وابيضت عيناه): أي من ملازمة البكاء الذي هو ثمرة الحزن وروي: (أن يعقوب عليه السلام حزن حزن سبعين ثكلى وأعطي أجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله قط)([1]).

الإعراب:

(الواو) عاطفة (تولّى) فعل ماض مبنيّ على الفتح المقدّر على الألف، والفاعل هو (عن) حرف جرّ و (هم) ضمير في محلّ جر متعلّق ب (تولّى) ، (الواو) عاطفة (قال) فعل ماض، والفاعل هو (يا) أداة نداء وتحسّر (أسفى) منادى متحسّر به مضاف منصوب وعلامة النصب الفتحة المقدّرة على ما قبل الألف، و (الألف)

[1])ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور:٤٢/١٣.

المنقلبة عن ياء في محلّ جرّ مضاف إليه (على يوسف) جارّ ومجرور متعلّق بأسف «٢» ، (الواو) استئنافيّة (ابيضّت) مثل سوّلت (عيناه) فاعل مرفوع وعلامة الرفع الألف ... و (الهاء) مضاف إليه (من الحزن) جارّ ومجرور متعلّق ب (ابيضّت) ومن سببيّة (الفاء) عاطفة (هو كظيم) مثل هو العليم.

البلاغة:

الاستعارة التصريحية([1]): في قوله تعالى وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ، شبه امتلاء قلبه بالحزن على يوسف بامتلاء القربة بالماء، وشبهه في صبره وتركه الشكوى إلى غير الله، برابط ربط على فم القربة المليء بالماء حتى لا يخرج منها شيء وهذا هو معنى الكظم.

وهناك نداء آخر يُنزِل المنادى منزلة العاقل، ولكن ليس للويل ولا الحسرة ولا الحزن وإنما للفرح والبشرى ويسمى (نداء البشرة) بمعنى البشارة، وهي الخبر السار، فالخبر السار يسمى بشرى، وسمي بشرى لأن البشرة تتغير به.

وقد ورد هذا في موضع واحد في سورة يوسف حكاية عن السيارة التي أخرجت يوسف من قاع الجب في قوله تعالى:﴿وَجَاءتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلاَمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ(١٩)﴾.

بهذه الآية الكريمة يصف الله تعالى إخراج يوسف من البئر، بواسطة بعض المسافرين من التجار، وقد جاء ذكر إخراج يوسف من البئر موجزاً، مختصراً، لكنه إيجاز مذهل يغني عن السرد الطويل والشرح المفصّل.

فقد تتالت الأفعال في الآية الكريمة تتالياً سريعاً، رشيقاً، بالفاء العاطفة التي تفيد ترتيب حدوث الأفعال وتعاقبها دون فارق زمني يذكر، وهذا معناه أن المسافرين لما

---

[1]) الاستعارة تصريحية: أي المصرح فيها باللفظ الدال على المشبه به، جواهر البلاغة:١/٢٦٠.

صاروا على مقربة من البئر أسرعوا في إرسال من يجلب لهم الماء (فأرسلوا واردهم)، فأسرع هذا بدوره ملبياً حاجتهم إلى إحضار الماء بسرعة (فأدلى دلوه) وهنا تختفي (الفاء) (قال يا بشرى) ولم يقل الله سبحانه وتعالى (فقال يا بشرى) ذلك أن البشرى تقتضي المفاجأة، وهذا ما يتحقق بحذف الفاء لتأتي العبارة مفاجئة، للدلالة على البشارة، ولنتأمل قول الوارد مستبشراً: (فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلاَمٌ) . وقوله تعالى عن المسافرين الذين وجدوا يوسف (عليه السلام) : (سيّارة) وهي صيغة مبالغة من اسم الفاعل،إنما تدل على أن شأنهم كثرة السير، فهم تجار تعودوا السير في هذا الطريق، وهم بحكم كثرة سيرهم على هذا الطريق يعرفون البئر، يدل على ذلك سرعة إرسالهم الوارد حال اقترابهم من البئر(دلت على ذلك الفاء العاطفة) دون وجود ما يشير إلى أنهم وجدوا مشقة في اكتشاف هذا البئر، و ربما يوحي هذا بغير ما ذهب إليه بعض مفسّري الآية من أن إخوة يوسف ألقوه في بئر بعيدة عن طريق المارة، وأن هؤلاء السيارة قد ضلوا طريق سفرهم، فوجدوا البئر مصادفة.

فتعودهم السير في هذا الطريق(إذ هم سيّارة) يبعد من الذهن إمكانية أن يضلوا طريقهم. وإسراعهم بإرسال الوارد لا يوحي بإيجادهم البئر مصادفة، بل ربما دلّ على معرفتهم بوجود بئر في المكان الذي وصلوا إليه([1]).

وهناك نداء أخير للكلام الدال على التمني بتنزيل الكلمة منزلة العاقل الذي يطلب حضوره لأن الحاجة تدعو إليه في حالة الندامة ، كأنه يقول : هذا مقامُك فاحضري ، على نحو قولهْ:﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾{الفجر:٢٤}، كَأَنَّهُ يُخَاطِبُ كَلِمَةَ (لَيْتَ) يَقُولُ: احْضُرِي فَهَذَا أَوَانُكِ([2]).

---

[1]) ينظر: الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم:٢٠٣/١.

[2])ينظر: التحرير والتنوير:١٣/١٩.

الإعراب:

«يَقُولُ»: مضارع فاعله مستتر والجملة مستأنفة لا محل لها،«يا»: حرف تنبيه، «لَيْتَنِي»: حرف مشبه بالفعل والنون للوقاية والياء اسمها، «قَدَّمْتُ»: ماض وفاعله والجملة الفعلية خبر(ليت)، والجملة الاسمية مقول القول «لِحَياتِي» متعلقان بالفعل.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على أشرف الكائنات، سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه الثقات الطاهرين، وبعد:

فها نحن قد وصلنا إلى نهاية مطافنا وخرجنا من دفات كتب اللغة ومصطلاحاتها والنحو والبلاغة والتفسير لنقدم ثمار حصادنا من المطاف بين بساتين هذه المعارف الجليلة والنبيلة من خلال دراسة موضوع بلاغي ونحوي وبياني لوجوه النداء في كتاب رب السماء، فتوصلت من خلال هذا البحث المتواضع إلى النتائج التالية:

١. النداء هو الوسيلة للتخاطب بين الناس ، وافتتاح الخطاب بالنداء يدل على الاعتناء بما سيلقى على المخاطب حتى يهيئه لتلقي ما يقال له.

٢. النداء من خواص الاسم، وله أدوات عدة، ولكن اقتصرنا على(الياء)لأنها الأكثر شيوعا، كما يجوز حذفها مع المنادى، ودون سواها تدخل على لفظ الجلالة فيقال(يا الله).

٣. المنادى المضاف هو أكثر الأنواع في القرآن الكريم ، كقوله تعالى:﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾{النساء:١٧١}، كما جاء نداء النكرة المقصودة في بضع مواضع كقوله تعالى:﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي﴾{هود:٤٤}، وكذلك نداء التشبيه بالمضاف في موضع واحد على الاحتمال وهو قوله تعالى:﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾{يس:٣٠}، الكثير في القرآن حذف (يا) النداء مع نداء (رب) ، وقد ذكرت (يا)في موضعين، هما قوله تعالى:﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً﴾{الفرقان:٣٠}، وقوله:﴿وَ قِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ لا يُؤْمِنُونَ﴾{الزخرف:٨٨}، وحذفت (يا) في نداء الرب في خمسة وستين موضعاً، كما وقع المنادى بالياء في أثناء الجملة وفي ختامها،كقوله تعالى:﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ {النور:٣١}، وكقوله تعالى﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾{طه:٩٥}.

٤. الغالب في القرآن الكريم إتيان الأمر والنهي والاستفهام بعد النداء، خلافا للكوفيين الذين يرون وجوبه، وسبب كثرته أنه يعد النفس ويهيئها لتلقي ما يقال لها، فإذا جاء بعده الأمر– وهو الأكثر– والنهي والاستفهام قابل نفسا مستعدة للقبول والانقياد، ومن ذلك ما جاء في نداء الله لعوام الناس في الدنيا.

٥. في العلم بأساليب نداء الله للرسل والأنبياء والناس وما لا يعقل وما تضمنته هذه الآيات من نكات بلاغية ولطائف بيانية توصلنا إلى أن النداء له أربعة أوجه الأول:(نداء عام من الله لأهل الدنيا)، الثاني:(نداء خاص من الله للآدميين في الدنيا)، والثالث: (نداء الآدميين بعضهم بعضا في الدنيا أو الآخرة)، الرابع: (نداء ما لا يعقل) .

٦. يقسم الوجه الأول على ستة مراتب: (نداء الجنس، نداء التنبيه، نداء الإضافة، نداء الجمع بلفظ الواحد، نداء الواحد بلفظ الجمع، نداء التعجيز والتحدي).
٧. كما يقسم الوجه الثاني على ستة مراتب أيضاً(نداء الشريعة، نداء التسمية، نداء الكرامة والتشريف والتعظيم، نداء المدح، نداء الذم، نداء التعنيف).
٨. ويقسم الوجه الثالث على ثلاثة أقسام هي(نداء العتاب، نداء التلطف والتحنن والاستعطاف)في الدنيا و(نداء الخصوم) في الآخرة.
٩. كما يقسم الوجه الرابع على ثلاثة أقسام أيضاً هي(نداء الحيوانات بعضهم للتيقظ والتنبيه، نداء الله تعالى للجمادات لإغاثة المظلوم أو التسبيح، نداء الآدميين لما لا يعقل).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الذين هم نجوم الدراية.....

المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم:

١. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر(ت٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

٢. الأصول في النحو، أبن السراج، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي (ت٣١٦هـ)تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت.

٣. الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم، علي بن نايف الشحود.
٤. إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت ١٤٠٣هـ)، دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية ، (دار اليمامة – دمشق – بيروت) ، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت)، الطبعة : الرابعة ، ١٤١٥ هـ.
٥. الأغاني، أبو الفرج الأصبهاني، تحقيق: سمير جابر،دار الفكر–بيروت، ط٢.
٦. ألفية ابن مالك، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (ت ٦٧٢هـ)، دار التعاون.
٧. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين(البصريين والكوفيين)، أبو البركات، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، كمال الدين الأنباري (ت٥٧٧هـ)، المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
٨. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام،عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، (ت٧٦١هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
٩. الإيضاح في علوم البلاغة، خطيب دمشق، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي(ت٧٣٩هـ)، تحقيق:محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل – بيروت، ط٣.
١٠. البحر المحيط في التفسير، بن حيان الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين (ت٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت١٤٢٠ هـ
١١. البرهان في علوم القرآن، الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، (ثم صوَّرته دار المعرفة، بيروت، لبنان – وبنفس ترقيم الصفحات) ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م.

١٢. تاريخ ابن خلدون (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت ٨٠٨هـ)، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
١٣. تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، أبو القاسم علي بن الحسن إبن هبة الله بن عبد الله الشافعي(ت٥٧١هـ)، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر-بيروت، ١٩٩٥.
١٤. التطبيق النحوي، الدكتور عبده الراجحي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.
١٥. التعريفات، الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف(ت ٨١٦هـ)، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.
١٦. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤ هـ.
١٧. تفسير ابن كثير(القرآن العظيم)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م .
١٨. تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، دار الفكر - بيروت / لبنان، ١٣٩٩ هـ /١٩٧٩م.
١٩. تفسير الرازي(مفاتيح الغيب = التفسير الكبير)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٣، ١٤٢٠ هـ.

٢٠. تفسير السعدي(تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت١٣٧٦هـ)، تحقيق:عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.
٢١. تفسير السلمي(حقائق التفسير)، محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري، أبو عبد الرحمن السلمي (ت ٤١٢هـ)، تحقيق: سيد عمران، دار الكتب العلمية لبنان/ بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٢٢. تفسير السمرقندي(بحر العلوم)، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت ٣٧٣هـ)،تحقيق: د.محمود مطرجي، دار الفكر – بيروت.
٢٣. تفسير الشعراوي (الخواطر)، محمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم.
٢٤. تفسير فتح القدير،الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط١،١٤١٤ هـ.
٢٥. التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (ت١٣٩٠هـ) دار الفكر العربي – القاهرة.
٢٦. تفسير الماوردي(النكت والعيون)، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي ، الشهير بالماوردي (ت٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.
٢٧. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١هـ) شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط١،١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.
٢٨. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج،د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر – دمشق، ط٢، ١٤١٨ هـ.
٢٩. التفسير الوسيط، د.وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر – دمشق، ط١،١٤٢٢ هـ.

٣٠. التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت١٠٣١هـ)، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت–القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ–١٩٩٠م.
٣١. الجنة والنار، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط٧، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م.
٣٢. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت ١٣٦٢هـ)، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية– بيروت.
٣٣. حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك، أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (ت ١٢٠٦هـ)،دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، ط١، ١٤١٧ هـ –١٩٩٧م.
٣٤. الحماسة البصرية، أبو الحسن البصري، علي بن أبي الفرج بن الحسن، صدر الدين (ت٦٥٩هـ)، تحقيق:مختار الدين أحمد، عالم الكتب – بيروت.
٣٥. الخصائص، ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤.
٣٦. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية(رسالة دكتوراه بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى)عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (ت ١٤٢٩هـ)، مكتبة وهبة، ط١، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م.
٣٧. دستور العلماء(جامع العلوم في اصطلاحات الفنون)، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (ت ق ١٢هـ)، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية – لبنان / بيروت، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

٣٨. سنن سعيد بن منصور، أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني (ت ٢٢٧هـ)، تحقيق:حبيب الرحمن الأعظمي، الدار السلفية – الهند، ط١، ١٤٠٣هـ –١٩٨٢م.
٣٩. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأُشْمُوني الشافعي (ت ٩٠٠هـ)، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، ط١، ١٤١٩هـ– ١٩٩٨مـ.
٤٠. شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري، زين الدين المصري، وكان يعرف بالوقاد (ت ٩٠٥هـ) دار الكتب العلمية –بيروت–لبنان، ط١، ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م.
٤١. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت ٧٦١هـ)، تحقيق: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع – سوريا.
٤٢. الشعر والشعراء، الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣ هـ.
٤٣. صحيح البخاري(الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه)، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي(ت٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)،ط١، ١٤٢٢هـ.
٤٤. صحيح مسلم(المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم)، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٤٥. علل النحو، ابن الوراق، محمد بن عبد الله بن العباس، أبو الحسن(ت ٣٨١هـ)، تحقيق: محمود جاسم محمد الدرويش، مكتبة الرشد – الرياض / السعودية، ط١، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م.
٤٦. علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع»، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ).
٤٧. الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (ت٩٢٠هـ)، دار ركابي للنشر – الغورية، مصر، ط١، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م.
٤٨. في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت١٣٨٥هـ)، دار الشروق – بيروت– القاهرة، ط١٧، ١٤١٢ هـ.
٤٩. كتاب سيبويه، أبو البشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه(ت١٨٠ هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل . بيروت.
٥٠. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣، ١٤٠٧ هـ.
٥١. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت١٠٩٤هـ)، تحقيق:عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت.
٥٢. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي (ت٩٧٥هـ)، تحقيق: بكري حياني – صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٥٣. لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ.
٥٤. لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت ٧٩٥هـ)، دار ابن حزم للطبتعة والنشر، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.
٥٥. لمسات بيانية في نصوص التنزيل، فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ط٣، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م.
٥٦. مباحث العقيدة في سورة الزمر، ناصر بن علي عايض حسن الشيخ، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
٥٧. المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق:عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م.
٥٨. المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق:خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.
٥٩. معترك الأقرآن في إعجاز القرآن، السيوطي، أبي الفضل جلال الدين أبي بكر السيوطي(ت ٩١١هـ)، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ–١٩٨٨م.
٦٠. المعجزة الكبرى القرآن، أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد (ت١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي.
٦١. مغني اللبيب عن كتاب الأعاريب، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت ١٤٢١هـ)، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٧هـ.

٦٢. المفصل في صنعة الإعراب، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، تحقيق: د. علي بو ملحم، مكتبة الهلال – بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
٦٣. المقتضب، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (ت٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب. – بيروت.
٦٤. المهذب في تفسير جزء عم، علي بن نايف الشحوذ.
٦٥. النبوة والأنبياء في القرآن والسنة، علي بن نايف الشحوذ.
٦٦. نداءات الرحمن لأهل الإيمان، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط٣، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
٦٧. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥هـ – ١٩٩٥ م